

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الخامس والثلاثين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٩ - الموافق ١٣ جمادى الثانية سنة ١٣٢٧

الشفاء بالاستهواء

الاستهواء (الهينوترم) او التنويم المغنطيسي امرٌ معروفٌ شرحناه في المقتطف مراراً كثيرة وبنّا وجوه الصواب ووجوه الخطأ فيه وما يُعدُّ صحيحاً منه وما هو تدجيل محض او ممزوج من الصحة والدجل

ومن الامور الصحيحة في الاستهواء انه يشفي من بعض الامراض العصبية التي مصدرها الوهم او الخلل في وظائف الاعصاب كالهستيريا على انواعها . وقد اعتمد عليه الناس من قديم الزمان لهذه الغاية قبل ان ولد مسمر الذي ادّعى اكتشافه في اوربا بالوف من السنين . وانه يؤثر في العقل تأثيراً يدعو الى اصلاح الاخلاق او افسادها

والعلماء مختلفون في استعداد الناس للاستهواء فالدكتور شاركو ومن يذهب مذهبه يقولون ان الاستهواء خلل عصبي وقتي لا يخضع له الا المصابون بضعف عصبي او بخلل عصبي . والدكتور ليبول يقول ان الذين يستفيدون من الاستهواء اكثر من غيرهم هم الاقوياء العقول الاقوياء الارادة الذين ليس بهم ضعف عصبي

لكن الذين استخدموا الاستهواء في العلاج حتى الآن اقتصر على استعماله في معالجة المصابين بامراض عصبية او بخلل عصبي فقد ذكر الدكتور وود في مجمع تقدم العلوم البريطاني الذي التأم سنة ١٩٠٧ ان ٨٨١ من المرضى المصابين بامراض عصبية عولجوا بالاستهواء فشفي ٧٤١ منهم شفاء تاماً و ٨٤ شفاء غير تام وبقي ٥٦ لم ينجح الاستهواء فيهم

وقال الدكتور كلاي شو في ذلك المجمع وهو رئيس قسم الامراض العصبية في مجمع الطب البريطاني ان الاطباء صاروا الآن يعترفون بالاستهواء كواسطة من وسائل العلاج ولم يكونوا يعترفون به قبلاً كذلك

وقد كتب الدكتور ونسلو مقالة في هذا الموضوع في الجزء الاخير من مجلة لندن قال فيها « ان الدكتور برليون الذي مارس الاستهواء اربع عشرة سنة في مدرسة الاستهواء الفرنسية وجد بالامتحان في الوف من الناس ان الاستهواء يفيد ثمانية اعشار الاولاد وان الاولاد الاصحاء اقبل له من المرضى وانه هو وجد ان الاستهواء يفيد الاولاد المخطين فيصرون يستهون انفسهم اذا كررت الاستهواء عليهم . اي انه اذا وجد ولد منخطاً في آدابه يكذب او يسرق او يرتكب دنية اخرى استهواه وامره بالامتناع عن تلك الدنية وكرر الاستهواء عليه مراراً وهو يأمره كل مرة بالامتناع عن تلك الدنية فيمتنع عنها اخيراً ويصير عقله يحكم على طبعه وينهاه عنها . قال « وقد جيء اليّ بكثيرين من المصابين بأفة السكر او بأفة السرقة (الكلبثومانيا وهي نوع من الجنون يحمل صاحبه على السرقة ولو لم يكن محتاجاً الى ما يسرقه) فعالجتهم بالاستهواء فشفوا شفاء تاماً . ومن ذلك اني أثبت مرة بشاب متهم بالسرقة وهو من التلامذة الاذكاء المجتهدين ولم يكن يظهر عليه شيء يدل على ما ائتم به . فخاله ومقام والديه جعلاني اتأني في الامر حتى لا ارميه بهذه التهمة ما لم اجد أدلة قاطعة على ثبوتها . عليه فثدأ كرت مع والديه وابنت لهما اني عازم على استهوائه . ثم جعلت اتكلم مع الشاب واتودد اليه حتى وثق بي واخبرني انه يصاب احياناً بالصداع فعرضت عليه ان ازيل صداعه بلس جيئه وطلبت منه ان يستسلم لارادتي حتى اتكن من شفائه فنوّمته وازلت الصداع منه بالاستهواء ثم جعلت اسأله عن الاشياء المسروقة فاعترف لي اعترافاً تاماً بكل ما فعل ودلني على المكان الذي اخفي فيه تلك الاشياء . فايقظته من نوميه وهو لا يدري شيئاً مما قاله لي واطلعت والديه علي ما اخبرني به فلم يكادوا يصدقاني ولكنهما فتنشا عن الاشياء المسروقة حيث قال انه اخفاها فوجداها . ثم شفي الشاب من هذا الداء ولم يعد يسرق شيئاً »

ومن رأي الدكتور ونسلو انه يمكن استعمال الاستهواء لنزع الاميال الفاسدة التي تفرس في الصغار وابدالها باميال صحيحة شريفة فيصير الاستهواء افضل مصلح لنوع الانسان لانه لم تبق شبهة في ان الذين يستعملونه حق استعماله يستطيعون ان يغيروا به اخلاق الصغار فينزعوا منهم الاخلاق السيئة وينرسوا بدلاً منها الاخلاق الكريمة وذلك بالاستمرار عليه والتأني فيه كأنهم يجرون الطفل كل يوم جرعة صغيرة من علاج نافع . قال انه دوت اخبار مئة ولد من الذين عولجوا كذلك فوجد ان ٣٥ منهم شفوا بالاستهواء تماماً من اخلاقهم السيئة و ٤٥ اصطلحت حالهم كثيراً و ١٢ لم يستفيدوا مطلقاً كان هذا العلاج لم ينفع فيهم . ثم قال ان « عقل الولد الصغير اقبل للتأثر بالاستهواء من عقل البالغ فانه يتأثر به حالاً واما عقل

البالغ فلا يتأثر إلا إذا تكرر الاستهواء عليه مراراً ولي خبرة واسعة في اصلاح الاولاد الذين يميلون الى السرقة والكذب فيسرقون ثم يغطون ذنبهم بكذبهم فاني وجدت ان هؤلاء الاولاد يشفيهم الاستهواء من السرقة ومن الكذب ايضاً . ووجدت انه يشفي من الخوف والرعب فان كثيرين من الاولاد يرتعبون من وجودهم في الظلام وحدهم فيسهل شفاؤهم من ذلك بالاستهواء . والاستهواء يغرس الثقة في نفس الولد ويغيرها لا يتعلم العلوم ولا الفنون ولا اللغات . ويقوي طبيعته العقلية والادبية . تجد الاولاد احياناً عنيدين متعبين يثقلون كل شيء لا يطيعون امراً ولا يصدقون بكلمة نقاصهم وتضرهم فلا يؤثر القصاص فيهم . واكثر هؤلاء من اولاد السكيرين والمجرمين . وتجدهم احياناً ضعاف الذكرا لا ينتبهون الى شيء ولا يستطيعون ان يعكفوا على عمل نافع او درس مفيد او تراهم كسالى يبعدون عن كل ما تعبهم ولا يميلون الى عمل نافع . ترى البطء في طبيعتهم والجن في افعالهم لا يفيدهم انذار ولا قصاص لا وعد ولا عيد فماذا نعمل بهؤلاء هل نياس من اصلاحهم هل نتركهم يعيشون كسالى خاملين او اشراراً مجرمين او معتوهين او مجانين . ليس في دائرة العلم يصلح اخلاقهم جزئياً بالاستهواء فقد دلني الاختبار الطويل على انه يشفي كثيرين منهم اذا عالجهم به من يحسن استعماله فانه يوقظ قواهم العقلية وينبها ويقوي ذاكرتهم ويغرس الثقة في نفوسهم بدل الخوف والشك . ولا شبهة في انه يقلب الصغار من الكذب الى الصدق ويزيل العيوب التي تملكهم . وجبذا لو انشئت مستشفيات او اصلاحيات لهذه الغاية حيث يقوم سلوك الصغار ويعودون احسن العادات »

وقد اعتمدت بعض المحاكم الانكليزية على الدكتور ونسلو لكشف الجرائم باستهواء المجرمين وجعلهم يعترفون بجرائمهم واخبرته محاكم نيويورك لهذه الغاية وسمحت له بدخول السجن الذي يسجن فيه كبار المجرمين واستهواهم فرأى فيه فتاة متهمه بانها دس السم لامها حتى ماتت وورث منها ثمانين الف ريال وكان الاعتقاد الشائع حينئذ ان الفتاة ارنكبت تلك الجريمة حتماً . فوصل اليها واستهواها بعد تعب كثير لانها لم ترد ان تخضع ارادتها لارادته اولاً ثم عرف منها اموراً اثبتت له براءتها واخبر القضاة بها فثبتت صحتها وبراءة الفتاة مما اتهمت به . ومن رأى هذا الدكتور انه اذا استخدم الناس الاستهواء حق استخدامه انتفعوا به نفعاً كبيراً جسداً وعقلاً لانه يمكنهم بواسطته نزع الميل الى ارتكاب الجرائم وازالة التماسد والتكالب من بين الناس فتزول الحروب وتصير من آثار ازمة التوحش ويسرع ارتقاء الانسان بدلاً من كونه بطيئاً يسير خطوة الى الامام وخطوة الى الوراء حسب احوال الزمان والمكان

توما باين

THOMAS PAINE

مات منذ مئة سنة رجل لولا فقره ولولا مجاهرته بخالفه رجال الدين ورجال السياسة
لأبت تماثيله الآن منصوبة في كثير من مدن انكلترا واميركا

وولد منذ مئة سنة رجل لو عاصر الاول واحد حدثه وافقر مثله لنسي اسمه لكنه اعندل
وتأني ولم يذكر الدين ولا السياسة لا بمدح ولا بدم ورزق من كبار العلماء من شد أزره
وكانت الحرية الشخصية التي نادى بها الاول واطهد لاجلها قد رسخت اصولها في النفوس
فلم يمت الثاني حتى مدحه وبجله الذين هدم اساس عقائدهم واستبدادهم اكثر مما هدمها الاول
واعترف بفضل الذين ناصبوه العداوة

الرجل الاول توما باين الكاتب الانكليزي الحر صاحب كتاب حقوق الانسان وكتاب
عصر العقل . ولد بيلاد الانكليز سنة ١٧٣٧ من بيت وضع من طائفة الكويكر . ولما كان
له ٣٧ سنة من العمر ذهب الى اميركا وفي نيته اهاجة سكانها الى طلب الاستقلال التام
فانشأ لهم رسالة موضوعها البصيرة او الاحكام الى العقل (Common sense) كان لها تأثير
شديد في نفوسهم على ما شهد به وشنطون الشهير . فان زعماء الشعب الاميركي كانوا قد يشعروا
من النجاح وكادوا يعدلون عن مطالبهم فلما انتشرت بينهم هذه الرسالة واطلعوا على ما فيها
من الحجج والادلة اشدت عزائمهم ونهضوا نهضة واحدة . ولما أعلنت الحرب انتظم في سلك
الجندية كاحد الجنود . ولكن الدوائر كانت تدور على الاميركيين في اول الامر فانشأ لهم رسالة
ثانية سماها حد الفصل او فصل الخطاب (Crisis) انشأها على نور النار في ليالي الظلام وقال في
فاتحتها "These are the times that try men's souls" « اي في الاحوال تعرف
الرجال » فذهب قوله مثلاً وجعل الجنود يتمثلون به وجعلوه شعاراً للحرب فخاربوا وفازوا
ولباين اليد الطولى في فوزهم . فذكر الاميركيون له هذه الفضل عليهم حينما فازوا باستقلالهم
وجعلوه سكرتيراً للجنة التي كانت تدير الامور الخارجية

اما هو فرجع الى انكلترا وقال ان غرضه تفتيح عيون الشعب ليرى جنون رجال الحكومة
وجهاهم فانشأ كتاباً في هذا الموضوع سماه حقوق الانسان The Rights of man ظهر
الجزء الاول منه سنة ١٧٩١ فانتشر انتشاراً لا مثيل له ويبيع منه مليون وخمس مئة الف

نسخة قبلما انتبهت له الحكومة . وهو من الكتب القوية الحجّة النزيهة العبارة وهذا مما زاد اقبال الناس عليه وارتباك الحكومة في امرها تجاهه حتى قال الوزير بت Pitt ان باين مصيب في ما يقول ولكن ما العمل فاني اذا عضدته او تغاضيت عنه فلا مناص من ثورة دموية

فاتهم باين بخيانة وطنه وطلب للمحاكمة لكنه خرج من بلاد الانكليز قبل ان التي القبض عليه لان بعض الفرنسيين كانوا قد انتخبوه عضواً عنهم في مجلس النواب الفرنسي . وحكم على توما موير الذي نشر الكتاب بالنفي اربع عشرة سنة

واستصعب باين خدمة فرنسا في مجلس نوابها لانه لم يكن يعرف اللغة الفرنسية جيداً . ولما حوكم الملك لويس السادس عشر طلب باين ان يكتب بنيه الى اميركا فاغناظ منه روبسبير وحكم عليه بالقتل والتي في السجن سنة ١٧٩٤ لكنه نجا من القتل وكان قد ألف الجزء الاول من كتابه عصر العقل The Age of Reason فسلم نسخه ل احد اصدقائه وهو ذاهب الى السجن فنشره . والكتاب ضد الديانة المسيحية وضد التعطيل معاً لكنه مؤيد للمذهب الموحدين فاغناظ منه المسيحيون في اوربا واميركا وخذله وشنطون محرر اميركا واكثر اصدقائه . واقام في سجن فرنسا احد عشر شهراً ثم أُخرج منه وُرِدَّ الى مجلس النواب لكنه سئم الحكومة الفرنسية فتركها وذهب الى اميركا في سفينة بعث بها اليه جفرصن رئيس الولايات المتحدة وتوفي في نيويورك في ٨ يونيو سنة ١٨٠٩ فقيراً معوزاً ونقل بعضهم رفاته الى بلاد الانكليز ولكن لا يعلم اين هو الآن

قالت جريدة التيمس من مقالة انشأتها حديثاً عن هذا الرجل انه ومضى الى اميركا غريباً لكنه فعل فعلاً جليلاً في استقلالها واحسن مساعدة الفرنسيين في ثورتهم . وكانت كتاباته السياسية تخيف بمقدار ما تخيف جنود الجمهورية وكتاباته الدينية استحققت ان يقوم لنقضها اعلم رجال الدين في عصره . ولقد كان لثلاثة او اربعة من كتبه الحكم الفصل في الشؤون السياسية كأنها ثلاثة او اربعة من معارك الحروب الكبيرة الفاصلة

وكان جمهور الناس يجهل ماهي حقوق الانسان الى ان ظهر كتاب باين في هذا الموضوع . نعم ان الخاصة كانوا قد اطلعوا على فلسفة لوك وروسو لكن كان رجال الدين ورجال القضاء قد اقاموا سوراً حصيناً بينها وبين عقول الجمهور فلما ظهر كتاب باين ثغر هذا السور ثغرة كبيرة تدفق الماء منها فغمر البلاد كلها وعرف الجميع ان كل الناس احرار طبعاً ومتساوون ومستقلون ولا يمكن ان يخرج احد من ملكه او يخضع لسلطة غيره الا برضاه فلما قرأ الناس هذا الكتاب اندهشوا وقال اهالي لندن انهم لم يقرأوا شيئاً مثله

« وما فعله باين في السياسة فعله في الديانة اي التعاليم الدينية فان اعداء الديانة كانوا يحاربونها خفية بالاستعارات والكنائيات وهم يملقون رجالها لكي لا يتهموا بالكفر ولذلك لم يكن رجال الدين يحشون بأسمهم . اما باين فجرد قلبه وتكنى واثار حرباً شعواء في راحة النهار ولم يبق للصالح مكاناً وساعده على قصده انسجام عبارته وبلاغة انشائه وشعور القارئ ان الكاتب يكتب ما يعتقد ويقصد اقناع قارئه به مع انه كان قليل المعارف غير متضلع من العلوم وبالجملة كان لبين اليد الطولى في اكبر ثورتين سياسيتين وفي ثورة دينية لا تقل عنهما شأنًا ومن يقرأ كتبه الآن لا يجد فيها التحامل الذي وجده معاصروه »

والرجل الثاني دارون الواسع العلم الواسع الخبرة وقد اثار اعظم حرب عليمة ودينية وادبية وهو يساعد القسوس وينفق على المبشرين لا نفاقاً بل اعتقاداً منه انهم يعملون اجلاً عمل في ترقية نوع الانسان وسيرته واعماله تقضي مقالاً طويلاً فنرجئها الى الجزء التالي

اصلاح نسل الانسان

كان للمقالة التي نشرناها في الجزء الاخير من المقتطف وموضوعها « نيتشه وابن الانسان » وقع حسن لدى جمهور العلماء والادباء كما قال لنا بعضهم لان مسألة اصلاح النسل من اهم المسائل التي اهملها الانسان وكان الواجب عليه ان يقدمها على كل مسألة سواها . ويظهر لنا من مطالعة الصحف الاوربية ان الجزء الاول الذي صدر من مجلة « اصلاح النسل » (المجلة البوجينية) وقع احسن وقع لما تضمنه من المباحث الجليلة المفيدة . فقد كتب صديقنا المستر فرنسيس غلن محرر هذه المجلة يقول ان مدارها واسع مختلف المواضيع ومباحثها تشمل اولاً علم البيولوجيا من حيث علاقته بالوراثة والانتخاب . وثانياً علم الانثروبولوجيا من حيث ايضاحه مسائل طوائف الناس وسنن الزواج . وثالثاً علم السياسة بمعناها القديم المطلق من حيث حقوق الوالدين المدنية . ورابعاً علم الاخلاق من حيث تقوية الملكات الآلية الى اصلاح الهيئة الاجتماعية . وخامساً المواضيع الدينية التي تقوي وتطهر الاميال اللازمة لاصلاح النسل فالوراثة شأن كبير لا ينكر ولكن الاحوال التي تحيط بالوالدين تؤثر في الاميال التي تكون كامنة في النسل وقت الولادة وتنوع بتنوع الاحوال بعد الولادة ولذلك نشير هذه المجلة بكل اصلاح اجتماعي من شأنه تقوية الاميال الآلية الى نفع المجتمع الانساني وكبح الاميال التي تضر به . وتعضد الرأي العام القائل ان العقل السليم يكون في الجسم

السليم من غير ان تهمل ما يلزم لتقوية القسم الروحي من طبيعة الانسان لان اهميته لا تقل عن اهمية القسم المادي . وتبذل اقصى الجهد في اقناع الناس من كل الطبقات بفضل الزواج وولادة الاولاد ولزومهما لارتقاء الامة

وقال في منع موت الاطفال ان السبيل الى هذا المنع يقوم بتغذية الاطفال — التغذية الكافية الصالحة وهذا موضوع يجهله الاكثرون فجمال القول فيه متسع ويجب ايضاحه بكل واسطة ممكنة . ولقد قال احد اعضاء جمعيتنا انه يجب ان نبث مبدأ اصلاح النسل في ضمير العمران كأنه دين جديد — دين سام صارم لانه يستلزم العفة التامة والتمسك بعري الفضائل — دين يرمي الى غرض من اشرف الاغراض وهذا الغرض مداره ارضي ولكن غايته سمية وطوبى للامة التي تجري وراءه وتدركه

وحالما تصير ام الارض ثبارى في اصلاح النسل لا في اعداد الجيوش والاساطيل تصير تضن بفلات اكبادها وازهار صباها على الحروب وويلاتها . ثم ان عددها لا يعود يتجاوز حدود بلادها حتى تطمع بامتلاك بلاد غيرها وتخاصم وتثلاثم لكي تغصب ربوعاً ليست لها . فاصلاح النسل يأتي ببزكة جديدة على نوع الانسان لانه يكون رائد السلم في العالم

وكتب الدكتور انج استاذ اللاهوت في جامعة كمبردج مقالة قال فيها « ان غرض كل الفضائل الاجتماعية خير نوع الانسان . وعلم اصلاح النسل يرمي الى هذا الغرض لا الى غيره ولذلك فالفضائل الاجتماعية وعلم اصلاح النسل متحدة معاً ولا يمكن الفصل بينها . لانها كلها ترمي الى غرض واحد وهو اصلاح الانسان . فان العالم البيولوجي (اي العالم بعلم طبائع الحيوان والعالم الاخلاقي) اي العالم بالفلسفة الادبية التي تعلم وجوب الجري على قوانين الاداب والفضائل النفسية) يقولان ان ارتقاء البلدان لا يقاس بمقدار صادراتها ووارداتها ولا بمقدار ثروتها وقوتها الحربية والبحرية ولا بانتشار العلوم فيها ولا بجزية اهلها السياسية بل بنوع الرجال والنساء الذين تربيههم . فان الارتقاء في عرف العالم البيولوجي والعالم الاخلاقي هو صلاح الناس انفسهم لاصلاح الاحوال التي هم فيها . وكلاهما متفق مع هربرت سبنسر على انه لا يمكن انتاج السلوك الذهبي من الغرائز الرصاصية . فاذا كان الناس منخطين فالامة التي تتألف منهم منخطة ولا يمكن للوسائل السياسية ان تكون امة مرثقية من اناس منخطين

« ولا جدال في ان الغرض الذي يتوخاه علم الاجتماع وعلم اصلاح النسل هو ان يبلغ سكان الارض في عددهم ما تحنله الارض من السكان ما دامت صالحة لسكن الانسان وان هو لاء السكان يبلغون الغاية التي خلق لاجلها الانسان . ولا يجوز لنا ان نصحي الحاضر لاجل المستقبل

ولا ان نضحى المستقبل لاجل الحاضر فان من يولد بعد عشرة آلاف سنة لا يحقُّ له ان ينال من اهتمامنا اكثر من يولد اليوم ولا اقل منه . وغرضنا نوع الانسان كله في حاضره ومستقبله والآن لا يفرض على كل احد ان يتزوج ويخلف نسلاً ولو كان من الذين يشهر المستر غلن بزواجهم لاختلاف النسل بل هم احرار من هذا القيل ولو ارادوا التهرب ولكن هذا لا يمنعنا من ان نقول لمن كانت بنيتُه الجسدية والعقلية على ما يرام تزوج واخلف نسلاً لان ذلك مطلوب منك لامتك وبلاك . وليس من اغراض جمعيتنا ان تشير بشيء يضاد قوانين الآداب والطهارة العائلية كلاً ولا نحن ممن يشير بشيء مناقض للحرية الشخصية وغاية ما في الامر اننا نشير وننصح بما فيه النفع للانسان ونسله . ولكن يحق لنا ان نطالب كل انسان غير صالح بما يضحيه لاجله الصالح »

وقد انتقد البعض على جمعية اصلاح النسل ان غرضها مادي محض فكشبت المستر كرا كثر ينفي ذلك وقال على سبيل الاستفهام الانكاري « هل يعدُّ مادياً من يقنع الناس من كل الطبقات بما للوالدين وما عليهم . هل يعدُّ مادياً من يقول ان الزواج الجاري الآن لا ينتج دائماً نسلًا صالحاً . هل يعدُّ مادياً من يقول انه يجب على بعض الناس في بعض الاحوال ان يقتصروا على القليل من الاولاد . هل يعدُّ مادياً من يرسخ في العقول ان الاعناء بالاطفال بعد ولادتهم وقبلها من المسائل التي يجب ان تهتم بها الحكومة اذا قصر الشعب عن الاهتمام بها . هل يعدُّ مادياً من يقنع الناس بان مستقبل العالم امجد مما يحسبون ويجعلهم يثقون الى ذلك المستقبل الجيد ويسعون الى تحقيقه بكل جهدهم »

هذا ومما لا مشاحة فيه ان الناس يعتنون بمزروعاتهم ومواشيهم اكثر مما يعتنون بنسلهم فينتقون البذار (التقاوي) من اجود الانواع لكي تجود الزراعة ويعتنون بخدمتها اكثر مما يعتنون باولادهم وهذا شأنهم في الاعناء بمواشيهم وخدمتها . والحكومة تهتم بالمزروعات والمواشي اكثر مما تهتم بالسكان . ولا يحق لاحد ان يقيد حرية الناس فيقول هذا يجب ان يتزوج ويخلف نسلاً وهذا يجب ان لا يتزوج ولا يخلف نسلاً كما نقول عن البزور والمواشي ولكن يحق لنا ان نقول لكل احد ان تربية الاولاد على هذه الصورة تقويمهم وتصلحهم وتربيتهم على تلك الصورة تضعفهم وتفسدهم . ويحق لنا ايضاً ان نقول للسقيم والمعتهون انك ان تزوجت واخلفت نسلًا أكثر السقاء والمعتهين في الامة وان نقول للحكومة انك ان لم تهتمي بتربية ابناء امثك جسداً وعقلاً ضعفت وانحططت من مصاف الامم الراقية . لان هذه الامور من الحقائق العلمية المثبتة وكل من يعلمها مطالب باذاعتها

المذنبات

خطبة تليت في حلقة الادباء ببيروت في ٢٧ مايو سنة ١٩٠٩

ما هو المذنب ؟ سؤالٌ تسمعه كما ظهر ذلك المنظر الغريب في السماء ولكن الجواب عليه بقي غامضاً حتى السنوات الاخيرة . وقصدي الآن ان اذكر احدث الآراء في ماهية المذنبات وتعليل مظاهرها المتباينة وتطبيقها على قوانين العلم المسلم بها وظهور المذنبات العظيمة من القدر الاول قليل جداً في القرن التاسع عشر ظهر اربعة منها الاول سنة ١٨١١ وكان لونه ضارباً الى الصفرة والثاني سنة ١٨٤٣ ومدة رؤيته كانت قصيرة لقربه من الشمس ولكنه كان يرى في وسط النهار . والثالث مذنب دوناتي ظهر في خريف سنة ١٨٥٨ وكان يرى بعد غروب الشمس بقليل واستمر ظهوره أكثر من ثلاثة اشهر . والرابع سنة ١٨٨٢ كان يرى باكراً في الصباح ذا ذنب طويل وشديد اللعان وحينما اجتاز اقرب نقطة من الشمس صار يظهر جلياً في رائعة النهار

اما المذنبات من الدرجة الثانية فهي أكثر عدداً ويزداد عددها كلما قل قدر لمعانها او نورها . ويؤخذ من الاحصاءات التي نشرت حديثاً انه يزورنا من المذنبات التي يمكن رؤيتها بالعين المجردة واحد كل سنة او سنتين اما التي لا ترى الا بالتلسكوب فيزورنا منها خمسة او ستة سنوياً ولست اغالي اذا قلت ان فلكننا لا يكاد يخلو من مذنب يرى بالتلسكوب من القسم الذي يناسبه من ارضنا

ونقسم المذنبات باعتبار ظهورها الى دورية وغير دورية ومعدل ما يرى من الاولى اثنان او ثلاثة سنوياً ومن الثانية ثلاثة او اربعة ولكنها لا تتوزع بالتساوي على مدار السنة ففي سنة ١٨٩٨ بان خمسة في خلال اثني عشر يوماً ثم بانت خمسة اخرى في تلك السنة . اما افلاكها فتكون اهليجية الا القليل منها وبعض المذنبات الدورية تقتضي سبعين الى ثمانين سنة لتتم دورتها ولكن القسم الاكبر منها يتم دورته في اقل من ذلك . واقصر المدات المعروفة حتى الآن ثلاث سنوات وثلاث لمذنب انكي . وبما ان المذنبات يشبه بعضها بعضاً وبما ان المذنب الواحد يختلف رؤيته كما ظهر فلا شيء يميزها ويفرقها سوى افلاكها ومعرفة هذه ليست بالأمر السهل ناهيك ان هذه الافلاك معرضة دائماً للتغير فغير الدورية تتحول الى دورية والدورية الى غير دورية ومداتها تزيد او تقصر بحسب الاحوال فمذنب سنة ١٨٥٨

لا يرى إلا بعد مضي ألفي سنة وأكثر . ومدة دورة مذنب ١٨١١ تبلغ ٣٠٦٥ سنة .٠٠ اما السبب الأكبر في تحول الغير الدورية الى دورية فاجذب المشتري لها لانه اذا اتفق ان كان المذنب سابقاً له يجذبه الى الورا ويقيه عن السير ويقصر مدار فلكه وقبل مضي بضعة اسابيع يحول مدة دورته من ألفي سنة مثلاً الى ست سنوات .٠ ففي نظامنا الشمسي الآن ثلاثة وثلاثون مذنباً دورياً وخمسة وعشرون منها تستغرق دورتها من خمس سنوات الى تسع سنوات واكثرها تحولت الى النوع الدوري يجذب المشتري .٠ وبعد ان يقع المذنب تحت جذب المشتري يصير عرضة لان يلتقي به ثانية فيرده الى الحالة التي كان عليها قبلاً ما لم يربيه اي بالمذنب سياراً آخر كارضنا او كالكزهرة فيجرف فلكه قليلاً ويتركه سائراً في فلكه بعيداً من الوقوع تحت جذب المشتري الذي يرده الى الفضاء الساسع .٠ اما اذا كان المشتري سابقاً وقت الاقتراب فتكون نتيجة الجذب ان سرعة المذنب تزيد الى درجة عظيمة فيمر بالشمس ويخطها الى الفضاء اللانهاية له

والذي نعلمه من الارصاد الفلكية والابحاث الرياضية ان المذنبات الاربع مئة واخمسين التي عرف نوع حركتها وعرفت صفاتها بالتدقيق تابعة للنظام الشمسي وهي جزء منه كالسيارات ما هو المذنب

ساد علي عقول البشر قديماً واستمر الى عهد غير بعيد ان المذنب ليس إلا بخاراً منيراً في الجو وظهوره ينبت بوفود الاوبئة ووقوع الحروب وموت الملوك وغير ذلك من الويلات والنكبات التي يصاب بها البشر واول من بين انها توجد في الفضاء خارج الجو الذي يحيط كرتنا تينوبراخي ثم قام اسحق نيوتن واظهر انها خاضعة لقوانين الجاذبية كغيرها من الاجرام السماوية . وفي اواسط القرن الماضي برهن العالمان نيوتون وشيبارلي وغيرها ان النيازك او الشهب مسببة عن وجود اجرام صغيرة تدور حول الشمس في افلاك اهليلجية وفي كل فلك من تلك الافلاك يسير مذنب وفي بعضها مذنبان او اكثر وثبت ايضاً ان احد تلك المذنبات او كلها يضعف نورها ثم تخفي عن العيان وعليه تكون اجرام النيازك اجزاء رأس المذنب التي تفرقت او تباعدت او بقاها لوقوعها ضمن دائرة جذب الارض . وبسبب احتكاكها في الهواء تحمى الى درجة الانارة فتظهر لامعة ومنيرة والناس يرى انها تترك وراءها خطاً لامعاً يدوم احياناً عدة دقائق وذلك يدل على انها مشبعة ببض الغازات التي تفلت بسبب الحرارة . وبما ان المعان المذكور يدوم في بعض الاحيان اكثر من ساعة فذلك ينفي ان يكون ناتجاً عن الحرارة المسببة عن الاحتكاك اذ في جو رقيق ولطيف تضمحل الحرارة

في بضع ثوانٍ لسهولة اشعاعها ولكنه ناتج عن المجاري الكهربائية كما يحدث في الانابيب المفرغة من الهواء . اما صورة رأس المذنب السبكتروسكبيكية فكناية عن عدد من الخطوط العريضة اللامعة المختلفة الكثافة وذلك يدل « أولاً » ان نور المذنب ذاتي وليس نتيجة الانعكاس فقط كما هي الحال في السيارات « ثانياً » ان المادة المتيرة في الحالة الغازية وبعده الشاسع يستحيل ان يكون ذلك الغاز محمياً الى درجة الانارة بحرارة الشمس وعليه يكون نوره مسبباً عن المجاري الكهربائية

ومما ذكره يريج الفريق الاكبر من الفلكيين ان المذنب مجموع اجرام نيزكية يحيط بها ويتغلبها جو غازي يجعلها منيرة ومنظورة بسبب المجاري الكهربائية فاذا افلت ذلك الجو وبطلت المجاري الكهربائية فقد المذنب انارته فيخفي ويتحول الى مجموع اجرام نيزكية دائرة في فلكه . وقد ظهر ان طيف بعض المذنبات متصل وهو دليل على انعكاس نور الشمس عن الاجرام النيزكية . اما حجم هذه الاجرام فيختلف من القطع الصغيرة ذات الوزن الخفيف الى ما يبلغ ثقله عشرات القناطر وثبت أيضاً ان نواة بعض المذنبات جسم جامد ولكن كتلتها صغيرة حتى انه لا يشعربثأثيرها على جرم آخر من اجرام النظام الشمسي واغرب اقسام المذنب ذنبه الذي يظهر انه ليس خاضعاً لقوانين الجاذبية فعوضاً عن ان يكون متجهاً نحو الشمس لجذبها له وتابعاً المذنب في سيره تراه مدفوعاً الى الجهة الثانية بسرعة عظيمة فيتبع المذنب حين يكون سائراً نحو الشمس ويتقدمه حين يكون آخذاً بالابتعاد عنها . اما مادته ف دقيقة ولطيفة الى الغاية لان بعض النجوم التي يخفي نورها في جوكرتنا وتغيب اذا بلغت علو عشرة اميال فوق سطح البحر ترى باجلى بيان وراء ذنب المذنبات ولو كان ثخنه عشرة ملايين ميل . وقد ظهر من البحث السبكتروسكبيكي ان الذنب في الحالة الغازية . اما سبب عدم انطباعه على قوانين الجاذبية فبسيط وهو ان الجاذبية تكون بالنسبة الى مقدار المادة لا الى حجمها اي بالنسبة الى مكعب قطر الجسم بين ان القوة الدافعة كهربائية كانت ام غيرها فبالنسبة لسطحها اي لمربع قطرها فاذا كانت الاجسام كبيرة تكون الجاذبية عظيمة وقوة الدفع اقل منها بكثير ولكن كلما صغر الجسم ضعفت الجاذبية وتعاظمت قوة الدفع حتى تصبح بعض الاحيان اشد من الجاذبية بمرات عديدة فيظهر فعلها ويفقد تأثير تلك

ومبداً الآراء الحديثة في الكهربائية ان الشمس جرم كهربائيه سلبية ومن سطحها يندفع الى الفضاء دائماً عدد لا يحصى من الاجسام الصغيرة بسرعة معدلها ١٠٠٠٠٠ ميل في الثانية وهذه الاجسام او اللاكترونات اصغر حجماً من الجواهر الفردة ومنها يتألف ما كان

يدعى سابقاً الكهربائية السلبية فإذا اصطدمت برأس المذنب لصقت بدقائق الغازات المحيطة به وكهربتها سلبياً فيدفع قسم منها الى الخارج بقوة دفع الدقائق الباقية وبالاخص بقوة دفع الشمس ولذلك تكون دائماً وابدأً مبتعدة عنها في الجهة المقابلة لها

ولرب معترض يقول اذا كان ذلك صحيحاً وارضنا تابعة للشمس ومحاطة بجو من الغازات فلماذا لا يصيبها ما يصيب المذنب ويكون لها ذنب كذنبه . فالجواب على ذلك ان لها ذنباً او مظهراً من مظاهره يشاهد احياناً قرب القطبين ويعرف بالاورورا طوله يبلغ ست مئة ميل ولا يتجاوز ذلك لان كتلة الارض عظيمة جداً بالنسبة لرأس المذنب او الاجسام التي يتكون منها فيجذب تلك الدقائق ولا يفلت الا القليل من جوها ولولا ذلك لتكون لها ذنب طويل جداً وهنا يجب ان اذكر راياً آخر قدمه الاستاذ ارهينيس "Arrhenius" ^(١) بناءً على بعض خصائص النور التي اثبتها العالم مكسول بايجاته الرياضية وهو ان النور يسبب في الاجسام التي يقع عليها قوة دافعة ومعلوم ان الاجسام التي تكون رأس المذنب في حركة مستمرة وحولها كثير من الغبار الدقيق المسبب عن الاحتكاك فلا غرو اذا كان قسم من المذنب مكوناً من دقائق الغبار التي اندفعت بقوة النور الدافعة ولكن هذه القوة تزيد عن قوة الجاذبية ويظهر تأثيرها اذا كان قطر دقائق الغبار ضمن دائرة معينة وهاته الحدود تختلف بالنسبة لثقل المادة النوعي ففي الاجسام التي كثافتها ككثافة الماء تكون ٣٠٠ الى ٣٠٠٠٠ من البوصة ومهما تكن الكثافة فالقوة الدافعة يبطل عملها اذا كان القطر يساوي طول موجة النور وعليه لا تأثير لها على الاجسام في حالتها الغازية . وقد ابان البحث السبكتروسكبي الدقيق ان الذنب غاز واذا صح القياس جاز القول ان ذنب المذنب مسبب عن الدفع الكهربائي فهو كناية عن مجرى من دقائق الغاز التي تباعد عن الرأس لسبب الدفع الكهربائي وكهربائية الدقائق سلبية . ولربما صحب دقائق الغاز المذكورة ذرات الغبار المتوفرة فيها الشروط التي ذكرتها سابقاً ولكنها تنقص كثيراً عن البلوغ الى آخر الذنب

وشكل الذنب وحجمه يمكننا من معرفة مقدار قوة الدفع الكهربائي وقياسها لانه يظهر في الصور الفوتوغرافية حسب الطرق الحديثة اجسام صغيرة منيرة على ابعاد مختلفة من الرأس . وعليه اذا أخذت صور متعددة في اوقات مختلفة ودرست ماهية تلك الاجسام واختلف

(١) انظر تفصيل هذا الرأي في المجلد السابع والعشرين من المقتطف والجزء الرابع الصادر في

مواقعها امكن قياس قوة الدفع . ففي مذنب سنة ١٨٩٢ واسمه 'مذنب سوفت' "Swift" كانت ٣٩,٥ قدر قوة الجذب وفي مذنب سنة ١٨٩٣ ستة وثلاثين مرة فقط

وبما ان دقائق الغاز التي تكون الذنب تبعد عن الراس بقوة الدفع الكهربائي فلن تعود اليه بل تفلت الى الفضاء وبما ان درجة نور المذنب تتوقف على لمعان تلك الدقائق فبفقدتها يقل نوره كلما عاد فقرب من الشمس وزد على ذلك ان قوة التجاذب بين الاجسام التي يتألف منها الراس ضعيفة جداً ويزيد ضعفها تكهرباً بالكهربائية الايجابية ولذلك تأخذ بالابتعاد بعضها عن بعض فلا يضي عليها زمان طويل قبل ان تنفرك وتنزع في فلك المذنب . هذا ما يطرأ على كل مذنب حتى يلاشيه ويحوّله الى اجسام صغيرة تدور في الفلك السابق ولكن الانحلال والتفريق يحدثان سريعاً في المذنبات التي يقتضي لها وقت قصير لدورتها او اذا كانت تمر قريباً من الشمس والتقارير الفلكية تثبت ان بعض المذنبات تلاشى بالطريقة التي ذكرتها سابقاً واشهرها مذنب "Biela" الذي كان يرى جلياً بالعين المجردة ولكن بعد حين انقسم الى مذنبين واخيراً تعذرت رويته حتى باعظم التلسكوبات والدليل الوحيد على وجوده شعورنا بما يمر في جونا من الشهب حينما تمر ارضنا في فلكه وذلك مرة كل ست سنوات او سبع

ولنتقدم الآن الى البحث في ماهية المذنبات من الوجهة الكيماوية : — ان القليل من المذنبات يمر قريباً من الشمس فلا يتحول الى غاز من كل المواد التي يتركب منها الا ما اقتضى حرارة خفيفة وبما ان الكثافة والجذب قليلان فالغازات الخفيفة كالهيدروجين والهليوم تفلت ولا يبقى الا الثقيلة كمركبات الهيدروجين والكربون اما اذا مرّ المذنب بالقرب من الشمس . تعرض لحرارة شديدة فيتحول الى غاز ما فيه من المواد التي درجة تحوّلها اقل من الدرجة التي تعرض لها . ففي سنة ١٨٨٢ اقترب مذنب ولسن من الشمس حتى صار البعد بينهما اقل من ٥٠٠٠٠٠ ميل فتعرض لحرارة عظيمة وظهر خط معدن الصوديوم في طيفه وحدث امر غريب جداً اثبت ان اناة الذنب مسببة عن المجاري الكهربائية وذلك ان طيف المذنب المذكور كان وهو بعيد عن الشمس مؤلفاً من الخطوط المختصة بالهيدروكربون ولكن بعد اقترابه وظهور خطوط الصوديوم اخفت خطوط الهيدروكربون ولم يبق لها من اثر . وتعليل ذلك ان المجاري الكهربائية كانت تتنقل بواسطة غاز مركبات الهيدروكربون ولكن حين وجد غاز معدن الصوديوم وهو موصل جيد انتقلت بواسطته وتركت ما سواه ولو كانت الانارة ناتجة عن حرارة الشمس فقط ولا دخل للكهربائية لكانت ظهرت خطوط الصوديوم وبقيت الخطوط الاخرى من غير ان تختفي . وثالث المذنبات التي ظهرت سنة ١٨٨٢ اقترب حتى صار على ٣٠٠٠٠٠

ميل من سطح الشمس فتعرض لحرارة شديدة حولت الحديد الى غاز فكانت خطوطه ظاهرة جلياً في الطيف وبان معها خطوط الصوديوم. ولكن بعد ان ابتعد اخذت الغازات تبرد وتقلص وحينما عادت الى حالتها الاولى اخفت خطوطها من الطيف وعندئذ ظهرت خطوط الهيدروكربون

و يلقى بي في هذا المقام ان اتطرق الى السؤال الآتي وهو الا تصطدم ارضنا باحد المذنبات وماذا تكون النتيجة ؟

مرت الارض في ذنب مذنب سنة ١٨١٩ وسنة ١٨٦١ دون ان يشعر احد بذلك ولم يعلم الامر الا من الحسابات الرياضية بعد وقوعه. وقد اصطدمت الارض ببقايا المذنبات «اي بحجارة الشهب والنيازك» دون ان تتأثر بشيء في سنة ١٨٣٣ كثر تساقط النيازك حتى خيل ان السماء كانت تمطرها كالطر وكان الناظر يرى مئات الوفاً منها دفعة واحدة وبعضها كان يفوق الزهرة لمعاناً ويترك اثراً نارياً طويلاً جداً ولم يصل ارضنا واحد منها لانها كانت تسير في عكس جهة مسير ارضنا فاصبحت سرعتها وهي مارة في الجو عظيمة جداً ولذلك كانت تضمحل وتلاشي في الهواء قبل ان تصل الى ارضنا. واما اذا اصطدمت الارض بنواة احد المذنبات العظيمة التي من الدرجة الاولى كمذنب سنة ١٨٥٨ وكانت السرعة على اشدها فانها تحترق كما يعلم ذلك دارسو الفلسفة الطبيعية ولكن هذا بعيد الوقوع جداً وهو مثل ان رجلاً معصوب العينين يطلق بندقيته في الفضاء ليصطاد طائراً لا علم له بوجوده ولا بمروره فيصيبه

ولسبب الجذب ربما سقط احد المذنبات على الشمس فتكون النتيجة ارتفاع الحرارة وحدوث اضطرابات مغناطيسية قوية وهذا جل ما نقدر ان نشعر به

كثيراً ما يُسأل الفلكيون عما اذا كانوا يتوقعون ظهور مذنب لامع وجوابهم يكون سلبياً في الغالب لان المذنبات الكبيرة اللامعة غير دورية ما عدا مذنب هالي "Halley" الذي يتم دورته في ست وسبعين سنة وينتظر ظهوره سنة ١٩١٠ وقد ذكر ظهوره اول مرة سنة ١١ قبل الميلاد. وفي سنة ١٦٨٢ رصده الفلكي ادمون هالي وحسب فلكه والمدة التي يدور فيها دورته وابان انه هو المذنب الذي ظهر سنة ١٥٣١ وسنة ١٦٠٧ وانبأ بأنه يعود فيظهر سنة ١٧٥٨ وتم ذلك فكان اول من حسب عودة المذنبات وانبأ باوقات ظهورها

منصور حنا جرداق

النور والدماغ

أنا نشاهد المرئيات بواسطة النور فنعلم من ذلك انها موجودة في الخارج وان اشكلها والوانها كذا وكذا . نعم ان النور ينعكس من المرئي الى اعيننا فيحرك عصب البصر وتنتقل حركته الى دماغنا فيصور له فيه صورة فنقول هو الشيء الخارجي والحق ان ما نحس به كذلك هو صورة الشيء الخارجي في الذهن لانفس الشيء الخارجي

وقد اختلف الحكماء هل هذه الصور مطابقة تماماً للاشياء الخارجية بمعنى ان الاشياء الخارجية هي مثل هذه الصور التي تحصل في دماغنا من انعكاس النور عنها ام مخالفة لها قد تعود العقل ان يقول بمطابقتها لها لانها حصلت عن تأثير النور الذي ورد منها اليه والحق ان الاشياء الخارجية ليست لها صور في الخارج تنطبق على الصور التي ترسمها اذهاننا بل ليس في الوجود الا هذه الصور التي تنشأ في دماغنا واذ كان سببها ذلك المرئي الموجود في الخارج قلنا انها هي الصور الخارجية

انا لا نحس من المادة الا بقواها فنرى من الجسم لونه واللون نور والنور قوة ونسمع صوت الجسم والصوت حركة والحركة قوة . ونحس الجسم فحس بالحرارة والبرودة والخشونة والنعومة وكل ذلك ناشئ عن اختلاف القوة . ونرفع بايدينا جسماً فحس بالثقل والثقل اثر الجاذبية وهي قوة . ونمد اصبعنا مثلاً الى جسم فيانحس الجسم وذلك اثر الدافعة وهي قوة . ونذوق طعم الشيء فحس بالحلاوة او المرارة او الحموضة وغيرها وكل ذلك اهتزاز في عصب الذوق تصدره قوى المذوق فينتقل الى الدماغ . ونشم الروائح فحس بها وما ذلك الا اهتزاز في الاعصاب السطحية تنقله الى مركز خاص من الدماغ يحس به كسائر المراكز الحسية

والعجب ان الذي يحس بالقوى هو الدماغ في الانسان ومحل الرأس منه ولكن اذا عبر الانسان عن نفسه اشارة الى وسط صدره قائلاً انا ولم يشر الى رأسه . ولعل السبب لذلك هو ان صدر الانسان وسطه واليد تقرب منه أكثر من الرأس ويبعد هذا التعليل انه يشير الى صدره من دون ترو في الامر ليحتري الاقرب اليه

واذ ليس من قصدنا ان نعين في هذه المقالة موضع انانية الانسان نصرب عن هذا صفحاً ونعود الى البحث عن النور الذي يظهر اثره في دماغ الانسان فنقول اما النور الذي يرد من المرئيات فقد تكلم عنه الكثير من الفلاسفة ووفوه حقه من الثقيب ولكن هنالك انوار

يحس بها الانسان بعد ان يقطع بالاغماض ارتباطه بالخارج او من غير ان يكون له مصدر في الخارج البتة اظن ان فلاسفة العصر لم يوقوه حقه من البحث

من ذلك انك اذا نظرت من مكان قليل الضياء الى شباك مضيء فيه قضبان من الحديد واطبقت عاجلاً عينك تصور لك الشباك مع القضبان كما ترى الشيء في القهر. وربما رأيت منه ما لم تلتفت اليه قبل الاغماض وتبقى الصورة امامك ثابتة قدر عشرين ثانية او اكثر الى دقيقة. واذا حوت رأسك وانت مغمض العينين كانت الصورة امام عينك كما كنت تشاهدها. وقد يتصور لك الشباك شباكين فيبقى امام عينك واضحاً ثم يضعف قليلاً قليلاً وترى مكانه بقعة بيضاء عليها من اثر الشباك شيء وتهبط البقعة شيئاً او تصعد الى ان تمنحي بتمامها ويعتبقها سواد بقدر المكان المضيء الذي كنت تراه وهو ايضاً ينزل او يصعد كما نزل الاول او صعد وينتهي اخيراً كالاول وكأن هذا السواد اثر زرد الفعل

والسواد الذي تراه هو بعكس الضياء الذي كنت تشاهده اولاً فان الضياء الاول فيه خطوط سود هي قضبان الحديد والسواد هذا فيه خطوط بيض هي بدل القضبان السود وحجمه بقدره. واذا شرعت البقعة البيضاء تزول فهي تحرك يمينه ويسره وفوقاً وتحتاً الى ان تمنحي وقد تمنحي مكانها

ان البقعة السوداء التي تحصل عقب البقعة البيضاء لا يكون فيها خطوط بيض اذا لم يكن الشباك ذا قضبان من الحديد او غيره واذا كان فان بياض هذه القضبان طفيف جداً ويتحول هذا البياض الاخير الى بقعة بيضاء يتحول اخيراً الى مثل الهباء الكثير المتحرك

واذا نظرت من محل مضيء الى شباك مظلم فالامر بعكس الاول وذلك انك بعد الاغماض ترى بقدر الشباك سواداً ثم يتحول الى بياض يتحول هباءً ولكن البياض لا تحس به الا بامعان ومن الانوار التي تشاهدها من دون ان يكون لها مصدر في الخارج نور تشعه العين نفسها قد لا يظهر للناظر اليه وقد يظهر كالنور الذي يرى لامعاً بعض الآونة في عين السنور وما شابهه من الحيوان وقت ظلام الليل. واني لاعرف فتاة ماتت لانها دخلت في احدى الليالي بيتاً مظلماً خالياً وكان قد ربط فيه فرس وهي لا تدري فرأت نورين متوجهين اليها هلع لها فوادها فلما منها ان ذلك جنّي يريد ان يخطف حياتها والنوران كانا ينبعثان من عيني الفرس فرضت لذلك مرضاً ماتت به بعد ايام قليلة

نقدر ان تستدل على النور الذي تشعه العين بضغط احدى عينيك من جهة اليمين فتحس بحلقة صغيرة من جهة الشمال او من جهة الشمال فترى الحلقة في اليمين او من فوق فتراها تحتاً

او من تحت قفزاها فوقاً ترى ذلك سواء كنت في ظلام او في نهار مغمضاً عينك او فاتحاً لها .
واذا لطم الانسان في عينه قد حثت عينه شرراً حتى شاهد النور باهراً جلياً وكلما كانت اللظمة
اشد كان النور المرئي اسطع

واذا اطلت النظر في الظلام وانت مغمض العينين رأيت ضياءً ضئيلاً جداً جداً يتوج
دائماً امام عينك كأنه سحاب مضيء مصدره اطراف الحدقة فيما اظن وهذا النور متحرك يتغير
فيزول منه قسم ويأتي مكانه قسم آخر وليس للارادة سلطة عليه وقد يتشكل باشكال بدیعة
والوان جميلة فلا يلبث حتى يتغير وقد تجسم هذه الاشكال في صور رجال ونساء وحيوانات
وابنية وحدائق غناء كما ترى الاشياء في الخارج وهي اشبه شيء بما يرى في الحلم بل اعتقد
انها هي بعينها غير ان العقل في اليقظة يحكم بكذبها

وقد فحست في ليالي الشتاء الطويلة هذه الانوار باطالة النظر اليها لاعرف ماهيتها فكنت
اطفي السراج واجرت رأسي تحت اللحاف الهو بالوانها واتعرف اوصافها فعملت بعد اخبارات
طويلة ان هذه الصور المرئية مصدرها ذلك النور الخفيف الذي تشعه العين دائماً ولكنها غير
خاضعة للارادة الا قليلاً فهي لا تظهر الا في بعض الاوقات تارة واضحة وتارة غامضة
والنور المنبث امامي مشكل لاقسامها . وقد كنت استعمل ارادتي فاريد ان ارى ديكاً مثلاً امامي
فيظهر الديك بصورة مشوشة والنور الذي تشعه العين بان لبعض اعضائه التي كانت واضحة

وهناك نور آخر هو اخفي من الاول ليس مصدره العين بل مصدره فيما ارى الدماغ
نفسه هو مدار الافتكار والتذكر فاذا اراد الانسان ان يتذكر شيئاً كان شاهده قبله رأى
شكله ولونه امام عينه غير واضح حتى لا يظن ان ما يراه له لون وشكل . وهذا خاضع
للارادة فاذا اراد الانسان ان يفكر في شيء او يتذكر شيئاً رأى صورته على الكيفية المذكورة
اذا كان ما يفكر فيه من قبيل الصور واما اذا كان من قبيل الاصوات فليس للاضواء دخل
فيه اذ الانسان قد يتذكر الصوت النفسي ويفكر في الكلام النفسي كما يتذكر الصور ويفكر
فيها . والظاهر ان الدماغ يهتز اهتزازات مختلفة حسبما اوصلته اليه حواسه قبل فهو يعيد امثال
ما احس به والشيء بالشيء يذكر كأن الدماغ فونوغراف عام يكرر الاضواء والاصوات جميعاً
واذا اردت ان تشخص امامي ما افكر فيه او اتذكره حصل ما اردته بجهد وكانت
الانوار التي تشعها العين هي المشكلة لها فيكون ما افكر فيه او اتذكره من نوع الاشكال التي
تظهر للعين بسبب النور المنبعث عنها

وقد تقوى صورة الشيء الذي يتفكر فيه الانسان او يتذكره حتى يتجسم امامه من دون

ان يكون النور الذي تشعه العين بانياً له كالحلم الذي يراه من عمي لعرض بعد ان كان بصيراً
وهذا يحتاج الى السؤال ممن عمي بعد البصر
وقد تعبت كثيراً لكي اتصور بالوضوح جسمًا ثقیلاً كقنبلة مثلاً معلقاً في الهواء فلم اتمكن
بل كنت اراه دائماً اما مسنداً الى جسم من تحت او معلقاً بخيط من فوق او هابطاً الى
الارض مما يدل على ان الانسان لا يستطيع ان يتصور شيئاً لم يره قبلاً
وكما امنت وجدت ان الذي يفكر ويريد في الانسان هو خارج عن هذه الصور
والاشكال يحاكم بينها ويتذكر بها اشياء كانت غائبة عن ذهنه فكأن الذي يصور الالوان
والاصوات من الدماغ قسم والذي يفكر فيها ويتذكر قسم آخر
الاستانة في ٩ مارس سنة ١٣٢٥ هـ
جميل صدقي الزهاوي

تاريخ العلوم الرياضية

[من خطبة لخضرة الاستاذ حسن افندي صديق تلاها في نادي خريجي مدرسة الفنون
والصنائع الخديوية قال بعد مقدمة مسببة بين فيها اقسام العلوم الرياضية ومواضيعها]
ايها السادة الافاضل

اسمحوا لي بعد تلك المقدمة بتمهيد لتباحث فيه عن تاريخ الرياضيات عند الانسان بوجه
عام اريد بذلك الانسان في اول نشأته وفي طور تكونه وتكوين معارفه ومعلوماته وذلك قبل ان
نفصل الكلام عن هذه العلوم عند الامم المختلفة امة امة وعلماء علماء فاقول :

بديهي ان اشد العلوم مساساً بحاجة الانسان اسبقها ظهوراً في عالم الوجود ولذلك كان
علم الاعداد او علم الحساب هو اول علم اضطر الانسان بحكم الضرورة الى النظر فيه والتعمق
في مباحثه ذلك لان هذا العلم لا يبحث الا في المحسوسات فاتصاله يكون بالحس مباشرة
وبيان ذلك ان الانسان كما تعلمون مكوّن من عنصرين مختلفين عنصر مادي وهو الجسم
وعنصر اثري لطيف غير مادي وهو الروح . وكل ما يحيط بالانسان اما مدرك بالجسم أو
بالروح فما كان مدركاً بالجسم المادي فقط يكون مصدره من الجسم وهو المحسوس واما ما لا
يدرك الا بالروح فمصدره العقل وهو المعقول

لا أقول بخروج علم الحساب عن المعقولات ولكني اقول ان الذي دعا الى تعلمه ودراسته

انما هو المحسوسات وأما المعقولات فدعا اليها حب التوسع في العلم
لهذا السبب الطبيعي قال علماء التربية بعقم الطريقة التي بها يتعلم الاطفال الحساب باعداد
مبهمة لا مميز لها . وهي حقيقة قررهما (اوجست كومت) في فلسفته فقال اشك في أن الواحد
والواحد يكوّنان اثنين ولكني لا اشك مطلقاً في أن تفاحة وتفاحة تفاحتان مثلاً
وهنا انتقل بمحضراتكم الى مبحث جديد وهو ان ادوار حياة الانسان هي نفس الادوار
التي تمر على الامم في حياتها وبالتالي هي نفس الادوار التي تنتاب الانسانية نفسها . وهنا تكفي
ملاحظة تكوّن علم الاعداد عند الطفل لتعرف ادوار تكوّنهِ عند الانسان
كيف تكونت معارف الانسان بعد هبوطهِ على الارض ؟ أحسّ فرأى فنظر ففكّر
فاستنتج . كذلك الطفل ولد جاهلاً بما حوله فمرت عليه نفس الادوار التي مرت على الانسان
اثر هبوطهِ على سطح الارض (وهنا حجة الذين يذهبون الى ان افضل طرق التربية والتعليم انما
هي طريقة الاستنتاج اذ هي الطريقة التي تعلم بها الانسان ولا معلم له)
لنلاحظ الآن الكيفية التي يتعلم بها الطفل العدد والحساب لتعلم الكيفية التي توصل بها
الانسان لتعلم الرياضة فوضع نظرياتهما والتعمق فيها :
اعطوا الطفل تمرينين مثلاً ثم اعطوه واحدة اخرى تروا على وجهه علامات الابتهاج
والسرور وما ابتهاجه هذا الاّ لانه احس بالزيادة في التمر وما احساسه بهذه الزيادة الاّ
ادراكه لعملية الجمع
خذوا منهُ واحدة تشاهدوا عليه علامات الاستياء . ذلك لانه احس بالنقص وما احساسه
هذا الاّ بعملية الطرح
سله عما يطلبهُ من التفاح له ولاخه يجهك اربعة : لي اثنتان ولاختي اثنتان وما هذا
الاّ الضرب
اعطوه اربع تفاحات له ولاخه يعطيها اثنتين ويستبق لنفسه الاخرين . ولم يعمل الاّ
عملية القسمة . وهكذا ترونهُ يستنتج قواعد الحساب الواحدة بعد الاخرى وكذلك الانسان
في اول نشأته
مثل الطفل في ذلك مثل الام التي لا تزال في طفولتها كبعض الامم القاطنة بأواسط
افريقية وغيرها . فلم الحساب موجود في الانسان ومولود معه ولا يحتاج الاّ الى التثنية
ومن الاسباب التي زادت ارتباط علم الاعداد بالانسان ان كل فرد منه وجد معه آلة
العد الخاصة به . تلك الآلة هي اليد باصابعها . فمن اليدين واصابعها العشرة عرف الانسان

طريقة العد العشرية التي بفضلها تقدم علم الحساب حتى وصل الى الدرجة التي هو عليها الآن ولم تقتصر فائدة اصابع اليد على تعليم الانسان العد فقط بل بفضلها تعلم كتابة الاعداد يدلنا على ذلك ما نراه على بعض الآثار القديمة وما لا تزال نراه عند بعض الافراد من الاميين والاطفال من بيان الاعداد بخطوط رأسية كاصابع اليد المرتفعة هكذا $III \ II \ I$ الخ او بخطوط افقية كاصابع اليد الممدودة هكذا $= - =$ الخ وسترون معي ان الارقام عند اغلب الامم شرقية وغربية لا تزال تشير الى انها مركبة من اشكال هذه الاصابع مرتبط بعضها ببعض واقتصر هنا على الاشارة الى الارقام الرومانية حيث كانت اقرب الارقام الى الشكل والوضع الاصليين

في هذه الارقام ترى الوحدة مبنية بشكل الاصبع هكذا I والاثنين بشكل الاصبعين II وهكذا حتى نصل الى الخمسة فنجدها مبنية بشكل اليد الكاملة V فاذا زيد على هذه اليد اصبع VI تكونت الستة او اصبعان VII تكونت السبعة وهكذا حتى نصل الى العشرة فنراها بشكل اليدين معاً X قس على هذا الترتيب سائر الاعداد . وفي المجموع يتجددون ان ما يدل على الاعداد في الارقام الرومانية انما هو الحروف الهجائية . ولا شيء اقرب للترتيب الطبيعي من هذا الاستعمال

وهنا ملاحظة جديرة بالذكر وهي ان هذه الارقام لم تنسب للرومانيين لكونهم هم الذين اوجدوها ولكنهم انما عموها استعمالها فقط اما هي موجودة قبل الرومانيين بقرون عديدة بل اقول انها وجدت قبل زمن التاريخ وهذا دليل على ان واضع هذه الارقام انما هو الانسان مجرداً عن الامة والتاريخ

ولرب معترض يعترض عليّ بان هذه الارقام من وضع الرومانيين بدليل انها مبنية بحروفهم فارد هذا الاعتراض بان هذا الاستعمال لم يكن الا مؤخراً اما اصل وضعها فلم يكن الا مجرد خطوط مركب بعضها مع بعض هكذا $10 \cdot 11 \cdot 12 \cdot 13 \cdot 14 \cdot 15 \cdot 16 \cdot 17 \cdot 18 \cdot 19$ الخ عرفنا الآن ان علم الاعداد من العلوم التي اضطر الانسان بطبيعته الى تعلمها والتوصل اليها بدون معلم . فهو من هذه الوجهة يكاد يكون طبيعة من طبائع الانسان كذلك يقال في علم الهندسة

وجد الانسان محاطاً بقبة الفلك وهي كما ترون قبة مخوفة فتولدت عنده فكرة الكرة نظر الى اتصال الافق بالارض فسمى خط الاتصال الذي يحيط به ويدور حوله (محيط

الدائرة) ادار نظره حوله فوجد ان بعده عن اي نقطة من نقط هذا المحيط تكاد تكون واحدة فاعتبر المركز الذي هو فيه مركزاً للدائرة . كان الانسان يعتقد ان الضوء مصدره العين فسمى الشعاع الذي ترسله العين الى دائرة الافق (شعاع الدائرة) وهذا الاسم لا يزال مستعملاً لأن عند الامم الافرنجية (Rayon, Radius)

هكذا صار الانسان يتنقل في الاصول الهندسية بدون معلم ولا مرشد غير نظره وفكره . وبذلك صار علم الهندسة او كما سميناه علم الاشكال من اوائل العلوم التي تعلمها الانسان مضطراً بحكم طبيعته واحتياجاته

هنا ان لنا ان ندخل في التفاصيل فنبين الخطوات التي تنقلت فيها العلوم الرياضية منذ نشأتها حتى وصلت الى ما هي عليه الآن وحتى صارت اساس الرقي والمدنية انظروا معي نظرة عامة في التاريخ تجدوا ان شمس المدينة والعرفان ابتدأت في نشر اشعتها على أم الشرق (والشرق دائماً منبع النور) ثم اخذت في المسير لا تلتفت الى الوراء حتى اذا بها الآن وهي باسطة اجنتها على الامم الغربية . وفي وجود الشمس في الغرب اشارة الى انها تنوي المغيب وفي غروب شمس العلم اشارة اخرى الى فناء العلم . وما يدرينا لعل الساعة قريب

غير ان هذا الميل للغروب لا يكون داعية لنا الى اليأس فربما كان ما انتهى من الزمن يوماً من ايام الخلق اشرق علينا نهاره ونحن الآن في ليله (وما اخوفني من طول هذه الليل) فلا يلبث ذلكم الليل ان تنقشع عنا غشاوته فتعود الينا شمس المعارف وتعود معها حياتنا الاولى

هذا الترتيب الذي سارت عليه شمس العلوم والمعارف من الشرق الى الغرب جعلني اوثر على عاطفة الوطنية فاجعلها تسمح لي بأن انصرف عما تدعوني اليه من البدء بدراسة تاريخ الرياضيات عن آبائنا المصريين لا سير على مقتضي الناموس الذي سار عليه العلم وارجو ان لا تعتبروا هذا مبني عقوقاً بوطني بل حفظاً لكرامة العلم الذي نحن بصدد فابدى الان بدراسة الرياضيات عند مشرق شمسها عند اقدم الامم في المدينة عند قدماء الصينيين

(الصين)

مشهور ايها السادة أن المدينة الصينية اقدم المدن المعروفة فقد ورد في اساطير الصينيين ذكر حوادث كانت في القرن المائة والسبعين قبل الميلاد . الا أن وعورة بلادهم اولاً

وقلة الآثار عندهم وعدم العناية بها ثانياً جعلت تاريخهم من اغمض الثوار يخ
اذن يكون لنا عذر واضح اذا كان كلامنا عن تاريخ الرياضيات الصينية غير وافي وكنا
متخبطين في ظلمات تاريخها غير واثقين الا بالشيء القليل الذي تؤيده البراهين القوية
اول ما يعرف عن الصينيين انهم اخترعوا منطقة البروج الفلكية في سنة ١٧٧٠ قبل
الميلاد ! كما نقص علينا اساطيرهم

ويروون ايضاً انهم اول من وضع علم الاعداد وانهم واضعون ايضاً للطريقة العدية
العشرية (لفظية ووضعية) التي هي اساس العلم الحديث . وكانت العدية الوضعية عندهم على
نحو ما هي عليه الآن فكانت للاعداد العشرة الاولى اشكال مخصوصة ثم للعشرة والمائة والالف
اشكال خصوصية كذلك . وكانوا يكتبون هذه الاعداد على حسب كتابتهم من اسفل الى اعلى
اولاً ثم تدرجوا فصاروا يكتبونها على نسق الحرف السماري الذي كان مستعملاً في ذلك
الوقت بكلمة وفارس فصاروا يكتبون هذه الاعداد من اليمين الى الشمال واضعين العدد
الاكبر جهة الشمال على نحو ما نكتب الآن وكان العدد عندهم اذا وضع قبل العدد او قبل
اي قوة له كان مضروباً فيه . واذا وضع بعد العدد اضيف اليه
وسنعود لتفصيل ذلك ان شاء الله عند الوصول الى كلمة

وبذكر كلمة اقول لحضراتكم ايها السادة ان بعض الكلدانيين هاجر في حوالي القرن
الخامس قبل الميلاد الى بلاد ابن السماء حاملين مصابيح العلوم والمعارف التي كانت تشرق في
ذلك العهد على اقليم الجزيرة فزادوا الصينيين معارف على معارفهم وعلوماً على علومهم . علومهم
بعض المباحث الفلكية وكان الصينيون مهتمين بها كما قدمت لكم فزادوا فيها نبوغاً وكانوا يحسبون
دورات الكواكب السيارة وهم اول من اهتدى الى ما يسمونه بالعدد الذهبي وهو عدد السنين
التسع عشرة التي يتقابل في نهايتها القمر مع الشمس (هذا باعنيارهم ان الشمس متحركة لا ثابتة)
وقد علمهم الكلدانيون ايضاً تقسيم الزمان ومقدار السنة الشمسية وقسموها الى اثني عشر شهراً
والى اربعة فصول وقسموا الشهر الى اسابيع والاسباع الى ايام واليوم الى ساعات . وهم اول
من اهتدى الى النجمة القطبية وغيرها من السيارات

ولا أرى بين حضراتكم من يجهل ان الصينيين هم اول من اهتدى الى اكتشاف خاصية
الابرة المغنطة فاخترعوا البوصلة ولا تخفى فوائدها في التجارة وتسهيل الملاحة وتسهيل
الاعمال المساحية

هذه هي اهم ما وصل اليه من معارفهم الحسابة والفلكية وان كان فيها بعض المبالغات مما يجعل تاريخهم شبه خرافات ولكن كما قدمت لكم لا يمكنني الاعتماد الا على اقوال مؤرخي الصينيين انفسهم وما اكثر المبالغات فيها !

اما في الهندسة فهم على ما يظن اول من وضع المبادئ الهندسية وينسبون لهم اكتشاف خاصية المثلث القائم الزاوية التي اسس عليها فيثاغورث نظريته المشهورة وينسبون اليهم ايضاً وضع علم حساب المثلثات الكروية الكبير الفائدة في المباحث الفلكية . ولكن اقول مع المؤرخ الكبير (سديو) انهم انما نقلوا هذا العلم عن العرب الذين اخلطوا بهم في اواسط القرن الثالث عشر للميلاد

ومهما كان من معارف الصينيين فقد مرت ولا اثر لها في مدنيتنا الحاضرة بل ولا في المدنية الصينية نفسها . فقد ترى الصينيين الآن وهم على ما كانوا عليه قبل آلاف السنين واطن هذا يرجع على الاخص لثلاثة اسباب :

اولاً — تقديس قدمائهم تقديساً يقرب من العبادة حتى انهم ليعتقدون ان التفكير في ادخال اي تحسين على موضوعات قدمائهم جريمة من اكبر الجرائم
ثانياً تعالي الصينيين عن حوهم من بني الانسان لاعتقادهم ان ما عداهم من البشر انهم الا كالانعام بل هم اضل سبيلاً

ثالثاً — عدم احنكاك الصينيين بمن حوهم لازالة بعض ما رسخ في اذهانهم من اعتقاداتهم الباطلة التي كانت اقوى اسباب تأخرهم وانحطاطهم

الآن في نهضة الصين الحالية مما يجعل لنا وطيد الامل في رقي هذه الامة الشرقية العظيمة (وكلكم يعلم مركزها في الانسانية من حيث العدد) وفقنا الله الى سلوك اقوم السبل المؤدية الى النجاح والفلاح

وهنا ننتقل بكم بعد توديع مملكة ابن السماء راجين لها التدرج في مدارج الرقي والفلاح قاصدين البلاد الهندية وهناك موعدنا في الجلسة الآتية ان شاء الله تعالى فنجول فيها جولة تعرفنا ما هنالك ثم ننتقل الى بلاد فارس فكلدة فسواحل البحر الابيض المتوسط عند الامتين الفينيقية والعبرانية وبعدها نرجع ثانياً الى شواطئ نيلنا السعيد فندرس مدينة اسلافنا الكرام

الدماغ وفعاله

لا عجب من دماغ الانسان . اكثر الآلات اثقاناً بخارية كانت او كهربائية لا تدانيه في كثرة افعاله واثقان اعمالها على صغر حجمه وليونة بنائه

في جسم الانسان خمس مئة عضلة وكل عضلة منها مؤلفة من الوف من الالياف او الخيوط اللحمية الدقيقة وفي كل ليفة منها عصب متصل بالدماغ . وفي الجسم الوف من الشرايين التي يجري فيها الدم وفي كل منها عصب خاص متصل بالدماغ . وفيه كثير من الغدد وفي كل نقطة منها عصب خاص متصل بالدماغ . ومساحة سطح الجسم نحو ست عشرة قدماً مربعة وليس فيه مغزبرة الا وهناك عصب يشعر ويوصل الشعور الى الدماغ

وفي الدماغ غُرف كثيرة تتصل اليها الانباء على الدوام من كل انحاء الجسم ومن كل ما حوله . فكلما فتحت عينيك ووقع عليهما النور ورسم فيها صورة ما امامك بالوانه المختلفة نقلت الالياف العصبية هذه الصورة الى غرفة البصر في قصر الدماغ بكل تفاصيلها وما فيها من الاشكال والالوان . وفي غرفة السمع التي في الدماغ آلة من ذوات الاوتار تتصل اليها رنات الاصوات ونغماتها على اختلاف الحانها وابعادها من طنين الدباب الى هزيم الرعد ومن حفيف الشجر الى نغم العود والقيثار . فتتأثر بها وتجاوبها كما يجاوب الوتر المغني . وفي غرف الشم والذوق والمس مواقف الحرس ومقاعد الشرطة حيث يشم ارج الطيوب ويذاق طعم المأكول ويعرف ما يداس وما يلس . واغرب من ذلك كله ان هذا الدماغ الكثير الافعال الجامع لثبات الوظائف يفهم بكل اللغات ويفكر بلا لغة

والدماغ مؤلف من حويصلات كثيرة العدد كثيرة الاشتباك تعد بمئات الملايين بل بالوف الملايين تحار العين في كثرة اشتباكها بعضها ببعض ولكن اشتباكها الكثير وعددها الذي يفوق التقدير لا يحولان دون انتظامها واتفاقها في اعمالها

في ادارة التلفون في هذه العاصمة نحو ستين عاملاً للوصل والفصل بين المتخاطبين . والمتخاطبون في الدقيقة الواحدة لا يبلغون ثلثائة ومع ذلك لا يندر وقوع الخطأ في اعمال هؤلاء العمال . تطلب زيدا لشكوه فيصل العامل تلفونك بتلفون عمرو بعد ان تنف دقيقتين او اكثر تدق الجرس وتلعن الساعة التي وضع التلفون فيها . والخطأ ليس كثيراً ولكنه لا يقل عن عشرين في المئة . واما الدماغ فالانباء تأتيه من مراكز عديدة في اللحظة الواحدة وهو كلما يخطئ في توجيه الانتباه الى كل منها

لكن الدماغ قد توصل الى نظام لم يتصل اليه شركة التلفون في هذه العاصمة حتى الآن وهو انه قسم الجسم الى اقسام وجعل في كل قسم منها مركزاً خاصاً لذلك القسم . فالانباء ترسل اليه بدلاً من ارسالها الى المركز العام في الدماغ وهو إما ان يتصرف فيها من نفسه او يرسلها الى المركز العام حسب اهميتها وهذه المراكز هي العقد العصبية

قلنا ان مساحة سطح الجسم اي مساحة الجلد نحو ١٦ قدماً مربعة وقد حسبوا ان في كل قدم منها عشرة آلاف عصب او سلك تلفوني ففي سطح جسم الانسان ١٦٠ الف تلفون وهي لا تحاطب الدماغ رأساً الا عند الضرورة فاذا وقعت بعوضة على يدك فالاعصاب التي تحت ارجلها تتأثر بوقوعها وتنقل هذا التأثير الى اقرب العقد العصبية وهي تأمر اليد بالحركة والانتفاض زجراً للبعوضة . وقد يحدث ذلك من غير ان يرسل الخبر الى الدماغ ولكن اذا دبت غقرب على يدك أرسل الخبر الى الدماغ حالاً فيحرك اليد والجسم كله ويعمل الحيلة في قتل الغقرب . فهو من هذا القبيل مثل نظارة الداخلية في القطر المصري فانها قسمت البلاد الى مديريات ومراكز ونواحي وربطت النواحي بالمراكز بالتلفون وربطت المراكز بالمديريات والمديريات بنظارة الداخلية . فاذا حدث امر طفيف في الناحية اشعر المركز بالتلفون ومأمور المركز يجري ما يلزم ولكن اذا حدث في الناحية امرٌ جلل كأن هجمت عليه عصابة مسلحة من اللصوص واشتبك القتال بينها وبين اهل الناحية أرسل الخبر الى المركز والى المديرية وقد يرسل الى نظارة الداخلية ايضاً لارسال قوة مسلحة تقبض على اللصوص

وهنا فاقت الصناعة الطبيعية من وجه واحد فان التلفون الصناعي اسر من التلفون الطبيعي لان التأثير الكهربائي يجري في التلفون بسرعة كهربائية اي نحو ١٦ الف ميل في الثانية واما الفعل العصبي فلا يسير الا ٨٠٠ قدم في الثانية غير ان المسافات في الجسم قصيرة جداً فتدخل الانباء العصبية وتخرج مراراً كثيرة قبلما ينتبه الموكل بالتلفون الكهربائي لسماع صوتك او يتنازل لاجابة طلبك

لكن ان كان للتلفون الكهربائي مزية على التلفون العصبي من قبيل السرعة فللتلفون العصبي مزايا على التلفون الكهربائي اهمها ان التلفون العصبي ترسل به اشكال المنظورات والوانها وهو ما لم يتصل اليه التلفون الكهربائي حتى الآن . وفي التلفون العصبي مراكز للكلمات الملفوظة تحفظ فيه باصواتها . ومراكز للكلمات المكتوبة تحفظ بصورها ومراكز للروائح والطعوم والاشكال . وقد استنبط الناس تلفوناً ينقل الاصوات ويكتب الكلمات ولكنه لم يثقف حتى الآن ولم يستطيعوا ان يصنعوا آلة تلفونية فوتوغرافية تنقل الصور وترسمها بالوانها الطبيعية

ولا استنبطوا تلفوناً ينقل الروائح والطعوم. واذا استنبطوا تلفوناً مثل هذا صارت ربة البيت تديره الى دكان البقال وتذوق ما عنده من السمن وتشم رائحته قبلما تطلب حاجتها منه وهي في بيتها وهو في دكانه

وانواع الحيوان مختلفة في شعور اعصابها او في مقدار المادة العصبية المخصصة لهذا الفعل او ذاك ودرجة ارتقائها. فمن السمك نوع نصف دماغه لحاسة الذوق كأن لا غرض له من الحياة الا الاكل مثل بعض كبار البطون. واعصاب الشم في الانسان شديدة الشعور حتى انه يشعر برائحة المركبتان (وهو مادة رائحتها كرائحة الثوم) ولو كان مقداره جزءاً من ٤٦٠ مليون جزء من الميليغرام. ويشعر برائحة عطر الورد ولو لم توجد منه الا نقطة واحدة في خاية من الزيت. ومع ذلك فالحيوانات تفوقه في حاسة الشم ولا سيما حيوانات الصيد كما لا يخفى

وتفاوتت الحيوانات في تركيب ادمغتها حسب احوالها وهي من هذا القبيل مثل البيوت التجارية « والورش » الصناعية. يتبدى التاجر الصغير او العامل البسيط يعمل عمله كله بنفسه ثم تنسع تجارته او صناعته فيستخدم كاتباً وصانعاً ويزيد اتساعها فيقسمها الى دوائر مختلفة متصلة كلها بمركز الادارة العام. وهكذا ادمغة الحيوانات فالحيوانات الدنيا تكتفي بالطعام فيشكون فيها تجويف تخزن الطعام فيه لتغذي به وهذا الاغذاء يقتضي هضم الطعام فتشكون له الاعصاب اللازمة ومركز تتصل به. ثم يجد الحيوان انه في حاجة الى الحرارة فتشكون فيه آلة للتنفس واعصاب تديرها واوعية يجري فيها الدم. وتكثر الفضول في جسمه بكثرة الطعام والاغذاء والانحلال فتشكون فيه آلات لافراز الفضول كالامعاء والكليتين وتدعو الحال الى زيادة الاهتمام بالتغذية فتوزع وظائفها على الاسنان والغدد اللعابية والكبد والمرارة ولكل منها اعصاب تديرها. ومتى كثرت الادارات في معمل خيف من تضاربها فيقام لها مدير عام وهو الدماغ الذي يراقب اكثر حركات الجسد ولم يكن له وجود خاص في الحيوانات الدنيا ثم ظهر وكبر في الحيوانات العليا

قلنا ان الدماغ يراقب اكثر حركات الجسد ولم تقل كلها لان بعضها يجري ولو لم ينتبه الدماغ له بل بعضها يجري في بعض الحيوانات بعد نزع ادمغتها او قطع رؤوسها وما ذلك الا لان في اجسامها عقداً عصبية او ادارات محلية تقوم مقام المدير العام اذا عزل او مات. فاذا ازيل دماغ ضفدع ووضعت في الماء اخذت تسبح فيه كأن دماغها لا يزال في رأسها واذا وصلت الى عصا طافية على الماء حاولت الصعود عليها لان العقد العصبية التي في سلسلة ظهرها تتأثر من ملاسة اطرافها للعصا وتأمرها بالصعود عليها واذا وضع الطعام في فيها اكلته ودماغها

منزوع من رأسها فهي مثل المديرية والمراكز والنواحي في القطر المصري تبقى جارية في اعمالها ولو استعفى ناظر الداخلية او استعفت الوزارة كلها . ولكن الانسان شديد الاثرة واسع الملك اعطى النواحي والمراكز بعض السلطة وابقى السلطة العليا في يده لكثرة ما حوله من الاعداء فاذا قطع رأسه او نزع دماغه لم تعد الحياة تطيب له

وقد يظن لاول وهلة ان عمل الدماغ مقتصر على التفكير والتدبير ونظم الشعر ورصف النثر وتثمين الاموال وادارة الاعمال ولكن من يعين نظره في تاريخ الانسان من طفولته الى كهولته في الصحة والمرض والراحة والتعب يجد ان دماغه يشتغل دواما ويدرب اعضاءه كلها على الشغل حتى تقوم بما يطلب منها ولو كان من اصغر الاعمال هذا فوق ما يرثه من والديه واسلافه من الملكات والسلائق

تري الطفل يبكي ويرفس « ويبعط » بيديه ورجليه اي يعمل الاعمال التي لا تحتاج الى فكر وروية وتقدير وتدبير واذا اوقفته على رجليه لم يستطع الوقوف واذا وقف لحظة وقع بعدها كأنه قطعة من الخشب وما ذلك الا لان الوقوف يقتضي تحريك كثير من العضلات تحريكاً دقيقاً منظماً لحفظ مركز الثقل داخل القاعدة . لكن اعصابه تعلم من السقوط كيف تثلافاً وتعلم عضلاته الطاعة لها . ومركز هذا التعليم او التدبير في المخيخ اي الجزء المؤخر من الدماغ ولولاه ما امكننا المشي ولا الوقوف ولا الجلوس بل كنا نبقى كالاطفال مطروحين على ظهورنا او كسطيح الذئبي في ما يروى عنه . واذا اتفق لواحد ان نفس وهو جالس من سماع خطبة عملة او من كثرة الفضول في معدته ودماغه فانك تراه يكيو لان مخيخه يتعب او ينام فلا يعود يراقب اعصابه لتبقى عضلاته منتصبة

ويجري المخيخ في اعماله على حسب الانباء التي تصل اليه فاذا تضاربت افسدت عمله عليه كما اذا انت ابناء مختلفة الى المديرية من المركز الواحد وبعضها يناقض البعض الآخر فان المديرية تحار في امرها ولا تعلم ماذا تعمل . ويحدث مثل ذلك اذا جلس الانسان في قارب لعبت به الامواج فيشعر انه صاعد وحالما يصل هذا النبا الى مخيخه وقبل ان يرسل اوامره الى اعضاء جسمه لتوازن نفسها مع الصعود يأتي نبا آخر ان القارب نازل ويتلوه نبا ثالث ان القارب انحرف الى اليمين او انحرف الى اليسار وهم جراً فيشكل الامر على المخيخ وتختلف اوامره التي يرسلها الى اعضاء الجسم المختلفة الظاهرة والباطنة فتتصادم في اعمالها ويقع التشويش فيها وهذا هو سبب الدوار والجشاء والقيء . ويصيب المخيخ مثل ذلك في السكر لان حركات الاعضاء تشوش افعاله حينئذ بل لان السكر يفعل به مباشرة فيخدره ويمنعه من احكام

حركات الجسم فيصيب السكران ما يصيب راكب البحر
والمنظون ان القوى المدبرة لهذا الجسم التي عليها مدار الكلام والتفكير والتذكر
والاستدلال والاستنتاج ونحو ذلك من قوى العقل العليا مقرها في المخ او في الجزء السنجابي
فان المخ او الدماغ مؤلف من حويصلات او دقائق سنجابية اللون وهي الجزء الظاهر من
الدماغ وفيها مراكز القوى العقلية ومن حويصلات او دقائق بيضاء وهي الجزء الباطن من
الدماغ ووظيفتها الوصل بين الحويصلات السنجابية وبينها وبين اعصاب الجسم . وترى في
الدماغ تلافيف كثيرة اي انخفاضات وارتفاعات ليتسع السطح الذي فيه المادة السنجابية .
ويختلف شكل الحويصلة فقد تكون كروية وقد تكون بيضوية وقد تكون مغزلية ويثفرع منها
خيوط دقيقة تصل بعضها ببعض . وهي صغيرة جداً يختلف قطرها من جزء من ٤٠٠ جزء من
البوصة الى جزء من ٣٠٠ جزء وقد قدروا عددها في دماغ الانسان من ٦١٢ مليون حويصلة
الى ٩٣٠٠ مليون

ولا يعلم كيف تفعل هذه الحويصلات وكيف تحفظ المعلومات فيها فان الانسان قد يعرف
عشرين الف كلمة من كلمات لغته واللغات التي يعرفها فهل تحفظ كل كلمة منها في حويصلة من
حويصلات دماغه او في طائفة منها . قد يحفظ الوقت من الصور والاشكال والحوادث والنوادر
والمعاني فاين نقيم كلها وكيف تحفظ وماذا يمنع اخلاطها بعضها ببعض في الغالب . قلنا في الغالب
لانها قد تختلط في بعض الاحيان فيقص زيد شريك حادثة حدثت له في القاهرة منذ عشرين
سنة ويخلط بها حادثة حدثت له في الاسكندرية منذ عشر سنوات ويصف لك مدينة في
فرنسا ويخلط بها مدينة في النمسا . ويكثر ذلك في بداءة التعلم وقبل ان ترسخ حقائق كل علم
على حدثه في الذاكرة

قلنا ان الدماغ متسلط على الجسم كله . ولكن سلطته ليست استبدادية ولا حكومته
استقلالية فقد علمته التجارب ان اعطاء الاستقلال الاداري لبعض الجهات اسلم عاقبة واصبح
مآلاً فاعطى القلب استقلاله والمعدة استقلالها والرئتين استقلالهما وكذلك كل الاعضاء
الداخلية التي لا يخشى عليها من الاعداء الخارجية . فالقلب يعمل عمله على الدوام اراد العقل او
لم يرد . والمعدة والامعاء تعمل اعمالها والرئتان تعملان عملهما وكذلك الكبد والطحال والكليتان .
والاعضاء الظاهرة تعمل اعمالها احياناً كثيرة كأنها مستقلة عن الدماغ ولكن اذا عرض لها
عارض انتبه لها الدماغ حالاً ودافع عنها . فاذا اعتدت المشي في شارع فانك تمشي فيه يوماً
بعد يوم من غير ان تنبه او تلفت الى شيء ولكن اذا مد فيه خط الترامواي فانك تصير

تنبه وتحاسب وتحاذر ولا تكتفي بمهارة رجلِك على المشي بل تستخدم عقلك وانتباهك كله
والأداسك الترامواي كما داس كثيرين قبلك وإذا اضيف إلى الترامواي الأوتوموبيل في
شوارع ضيقة مثل شوارع القاهرة وجب على الإنسان أن ينقل دماغه من رأسه إلى قدميه
وهو سائر والأخياته في خطر دائم

الفلسفة المادية ومذهب النشوء

(من مقدمة بخنر على مذهب دارون)

أول من ذكر مذهب بستور في الجراثيم باللغة العربية المقتطف أقدم مجلة عربية علمية بل
المجلة العلمية الوحيدة في الشرق حتى اليوم . وذلك حوالي سنة ١٨٧٩ . ولكنه ذكره في
عرض الكلام على تأييد مذهب الحيويين ونقض مذهب الماديين مشايعة للآراء الغالبة في
ذلك الحين . كما أنه كان أول من نقل إلى هذه اللغة أيضاً كلاماً لبعضهم في مذهب دارون
في النشوء ولكن لنقضه على أسلوب يوافق أصحاب مذهب الخلق . ومع ذلك فلم يسلم من
الانتقاد خصوصاً من أصحاب المذاهب القديمة ولو على نقل المذاهب العلمية الجديدة فقط . فلم
يراعوا معه العمل بالمثل القائل « ناقل الكفر ليس بكافر » بل اعتبروه شريكاً بالتضامن حتى
كانت كل حياته الأولى جهاداً عنيفاً الجأه إلى الهجرة أخيراً إلى مصر

والحق يقال أن الوسط الذي كان المقتطف مقيماً فيه كان يجعل مركزه محفوفاً بالمصاعب .
على أنه في المسائل العلمية الهامة لم يسلك مسلك التشيع الأعمى ولم يوصد في وجه الباحثين
حتى أشدهم مباينة لآرائه باب الانتقاد ونشر الآراء الجديدة بحرية تامة فكان له بذلك
الفضل الأول في أعداد الأفكار في الشرق لقبول زرع العلم على الإطلاق . وما كان اشتداده
أحياناً في مقاومة آراء خصومه إلا فضلاً له أيضاً جعل هذا الأعداد أتم بحمل العقول على
التوسع في الروية للانتقال بها من الرضوخ المغلق إلى التفكير والبحث قبل التسليم . وله على
فضل خصوصي أيضاً لا أريد أن ادع هذه الفرصة تمر من غير أن أسديه شكري الخاص
عليه فقد حمل عني كثيراً من مطاعن الطاعنين بسبب مباحثي ولو لم يكن نصيري فيها . وكثيراً
ما كانوا يتناسونني ويمسكون به وحده وهو منتهى الفضل له

ولما كانت الحقيقة لا تخبز فاما هنا واما هناك وكانت مباحث الطبيعيين أقرت مذهب
الماديين في فلسفة الكون على قرار علمي مكين أقل ما فيه أنه يثبت مبدأ التوحيد الطبيعي في

المواد والقوى رأيت ان اخوض غمار هذا البحث من وجهه العلمي البحث غير حافل بالمصاعب التي ستعترضني في هذا السبيل وان انخعت بذلك الصراحة الجازرة التي لم يكن قد ألفها الجمهور بيننا منكبا عن خطة الذين يرون ان الحكمة انما هي في المصاداة لعلي ازرح الافكار عن مألفها لعلي ان تحريك الافكار لا يكون غالباً الا بمثل هذه المصادرة العنيفة لما يحدث ذلك فيها من الرجة القاسرة لتسهيل انتقال الانسان في العمران من حال الى حال . وما حاله التي هو فيها عنوان السعادة وما كانت في الماضي مما يؤسف عليه

فبادرت المقتطف حينئذ بكلام وجيز انتقد عليه انخيازه الى مبداء الحيويين واعتباره مذهب بستور خصوصاً مؤيداً لهم نافياً للقول بالتولد الذاتي وهو لا يؤيد قولاً ولا يني آخر كما تقدم . وكأني جهلت مركزه او تجاهلته فغنمت كلامي بتوجيه الخطاب الى مشيئه قائلاً « ومثلكم لا يسامح علي ذلك وانتم بجانب كعبة العلم » وقد رد المقتطف علي بمقال عنوانه « الحياة حيرة العلماء » وختمه بهذا القول السديد الحكم في هذا المقام قال « ولو قعدت كعبة العلم التي نحن بجانبها مقعدنا لما استصوبت الا آيتنا »

ولما كان الغرض من كل ذلك طرق مذهب الماديين من وجهه العلمي نشرت مقالاً اردت فيه على المقتطف تحت عنوان « الحيرة علة البحث » ثم اردفته بمقال آخر عنوانه « الحسن وانواعه المختلفة » بنيت على قول كلود برنار « الحسن تكيف في التأثير لكيفية في المؤثر » واستطردت منه الى هذا القول الذي كان غرضي من كلامي السابق لتوجيه النظر اليه لأول مرة في اللغة العربية للبحث فيه على وجه علمي فلسفي وهو :

« واذا نظرنا الى الحسن من حيث كونه تكيفاً في التأثير لكيفية في المؤثر كما في قول كلود برنار فلا نستطيع ان نقفل باب الكلام في هذا الموضوع حتى نأتي ولو باشارة فقط الى كون المادة ذات حسن ايضاً بدليل انها تتأثر حال كونها مؤثرة وتنفعل حال كونها فاعلة . فيكون حسن الاجسام الآلية مرتبطاً ارتباطاً الحزء بالكل بتلك القوة العظيمة التي بها تجاذب الاجسام بالنسبة الى مادتها وبالقلب كمربع البعد بينها اعني بها الجاذبية العامة التي هي عبارة عن حسن المادة في ابسط معانيه واعم انواعه » اه

وقصدت بهذا القول ان ابين ان القوى الحيوية والقوى الطبيعية واحدة من مصدر واحد . ترجع بعضها الي بعض وتحوّل بعضها عن بعض . وما خاب ظني في ما يكون لهذا القول من التأثير فقد جرّ الى مناقشات اظهر بعضهم فيها استغرابه لحسن المادة هذا وكأنه نظر الى التعريف اللغوي فقال لي « انا اشعل هذه السيكارة فهل هي تحس » وحمل عليه غيره

حملة شعواء انتصاراً للبدا الحيوي ونفياً لما يترتب عليه من التولد الذاتي واهم هذه المناقشات مدرج في المقتطف في ذلك الحين^(١)

وغرضي من طرق هذا البحث على هذه الصورة انما كان لاقرار الفلسفة المادية على اساس علمي مثنى لازالة الوهم العالق باذهان كثيرين في تلك الايام من انها فلسفة يرمي اصحابها بها الى اغراض سافلة ويحاول خصومها تمكينه في اذهان العامة لتنفيرهم منها وهي خطة ذنيئة في العلم وهي اليوم فوق ذلك خطة خرق لان حبلها قصير. فالفلسفة المادية اليوم تختلف كثيراً عن فلسفة الماديين القديمة في انها كانت كفلسفة اصحاب ما فوق الطبيعة نظرية بجنة واما اليوم فهي فلسفة قائمة على مبادئ علمية ثابتة قضايها تكاد تكون كالتقضايا الرياضية نفسها

وما عنت بتقرير هذه الحقيقة اولاً الا لغرض اهم وهو جعلها توطئة لتأييد مذهب دارون في النشوء والتحول الى اقصاه باعداد الافكار له. اذ لا يخفى ان هذا المذهب كان لتلك العهد لا يجسر احد بيننا ان يتكلم عنه الا في معرض النفي. وقد جاء ذكره مرة عرضاً في خطاب للدكتور لويس احد اساتذة المدرسة الكلية السورية فهاج الخواطر هناك عليه حتى اضطر الى الاستعفاء. وما ذكرت ذلك هنا الا لابين مبلغ استنكار عامة العلماء لهذا المذهب ومبلغ اقصائه من دور العلم في ذلك العهد. — واما اليوم فلم يعد مستنكراً الى هذا الحد بل صار يعلم في اكثر المدارس الحرة. واول مدرسة ذكر فيها بالتصويب مدرسة ليون الفرنسية الطبية وذلك في سنة ١٨٨٧ في خطاب لاحد اساتذتها المدعو تستو عنوانه الانسان في نظر المشرع^(٢) وقد حوِّله كثيرون اليوم الى غرضهم كما طبعوا كلام غليلي في الارض على غرضهم بعد ان قاموا عليه وكما تحوَّلت انا الى ان اكون من الغلاة فيه بعد ان انكرته وتأففت من ذكره اول ما سمعت به

ففي سنة ١٨٧١ — وكنت ادرس الطب في المدرسة الكلية السورية — سمعت — ولا اذكر كيف سمعت — انه قام رجل يدعي ان اصل الانسان من القرد^(٣). فلم اتحرَّ حقيقة

(١) في المجلد الثالث والرابع والخامس والسادس (٢) الشفاء: المجلد الثاني

(٣) [المقتطف] هذا ما يذكرك الدكتور شمبل وقد كرَّره مراراً على سمعنا في السنين الاخيرة. اما نحن فنذكر انه هو اول من ذكر لنا مذهب دارون وذلك سنة ١٨٧٠ حينما كنا ندرس في المدرسة الكلية الاميركية موبة. ذكره على سبيل الاستغراب كخبر سمعته ممن اطلع عليه. وكان تأثيره في نفوسنا حينئذ انه ان ثبت ثبتت به وحدة المخلوق ولكن نقضت به التعاليم الدينية عن كيفية خلق الانسان وسائر انواع الحيوان

هذا القول ولم يكن في تعليم المدرسة ما يحملني على التبصر فيه . وغاية ما اذكر اني لم اسمع به حتى اظهرت اشتملازي منه ومن قائله الذي اعتبرته حينئذ دعيًا ما خالف الا ليعرف . ولا عجب فان الكيفية التي ذكر لي فيها والتي يذكره بها دائماً خصومه من ان القرد اصل الانسان لا يمكن ان تحدث في سامعها لأول مرة وهو متشرب بالاعتقادات المخالفة الانفوراً ولو ان في نوع الانسان من هو احط من القرد بكثير . وهو سلاح يفتر به خصوم هذا المذهب لتحقيره . والا فذهب دارون لا يقول ان القرد اصل الانسان وان الحمار اصل الفرس بل ان الانسان والقرد والفرس وسائر الاحياء في الطبيعة قاطبة من اصل واحد في نشوئها من مواد الطبيعة ومجرد قواها وقد تغيرت تبعاً لناموس المطابقة حتى بلغت مبلغها الآن بالانتخاب الطبيعي ثم مرت الشهور ولا اذكر اني عرفت عن هذا المذهب شيئاً جديداً حتى نسيته . ومن الغريب اني بعد ذلك بزمان عند نبلي الشهادة كان موضوع خطابي^(١) المدرسي النهائي « اختلاف الحيوان والانسان بالنظر الى الاقليم والغذاء والتربية » وقد جئت فيه بكثير مما يؤيد هذا المذهب وانا لا اقصد فكنت كالذي كان يقول النشوء ولا يدري^(٢)

ولكن الذي لم اكن اقصده في ذلك الحين لم يلبث ان صار موقف افكاري وموضوع حديثي وغرضي في كل كتاباتي بعد مبارحتي المدرسة ورحلتي الى اوربا واطلاعي على هذا المذهب في مؤلفات اصحابه . ولم اجد حينئذ ادنى صعوبة في تطبيقه على اقصى ما يرمي اليه قبل ان اطالع على مؤلفات الغلاة فيه كهكل وبجنر . لان علوم المقاتلة في الطب تساعد كثيراً على ذلك . كما انه هو نفسه لم يجد ادنى صعوبة في امثالي لان تربيتي المدرسية لم تسني بطابعها فان اعتلال صحي في حديثي لم يسمح لي بان اكون من متخرجي المدارس في ما خلا الطب . ولم اقرأ شيئاً من العلوم الكيالية التي يقولون انها توسع العقل وهي في اعتقادي تضيقه فكان ذلك حفظ لي استقلال افكاري . وما ذكرت ذلك هنا الا لأؤيد ما قلته في ما تقدم من سوء تأثير التربية المدرسية كما لا تزال حتى الآن في تقييد العقول فيشب الثليذ فيها ويخرج منها فاقداً كل استقلال في افكاره وخصوصاً كل تسامح وناهيك بما يترتب على ذلك في الحياة الاجتماعية من الشرور

ولقد بلغ مني الاقتناع بصحة هذا المذهب اني صرت اعتبر مبادئ اوليات لا يجوز ان تخفى على ايسر متعلم واكل مفكر فاذا لم يصرح بها فلعدم جسارة او لمصلحة . وفاتني ان هناك

(١) هذا الخطاب استعاره مني احد البلداء لنسخه فاضاعه علي ولم برده ولم اعد اعلم بعد ذلك

مصريه (٢) مثل فرنسوي

اسباباً اخرى اهم لم انتبه لها حتى انتهت الى تطبيق هذا المذهب على الفلسفة العقلية نفسها فانجلي لي سر كل هذه المناقضات في العقول المختلفة اذ انضح لي ان علم الب. يكلولوجية اي علم العقل او النفس فرع من علم الفزيولوجية اي علم منافع الاعضاء فيجب النظر في العقل كالنظر في وظائف الاعضاء باعتبار انه عمل مادي. فكل ما يطرّق الى المادّة من نوااميس النشوء والتحوّل ويؤثر فيها يؤثر في العقل نفسه الذي هو ليس الاّ فعلاً من افعال الدماغ. فاذا كان للاقليم وسائر نوااميس المطابقة والانتخاب الطبيعي والوراثة شأن عظيم في تكييف الاعضاء الحية واثرو لا يحد في الاجيال المتطاولة اذا تغيرت الاحوال فالتربية والتعليم والعادات والاعتقادات وكل ما يؤثر في الاخلاق اثر في العقول ايضاً لا يزول الاّ بمثل تلك الصعوبة حتى لقد يزول من الابناء اثر ما في الآباء من الاجداد ثم يعود ويظهر في الاحفاد لرسوخ ذلك في الطباع وشدة تكييفها به. وعليه ناموس الرجعة عندهم ويراد به الارتداد الى الاصل وهي حقيقة عرفها العامة قبل ان يقرّرها العلماء بقولهم « الاصل يحن »

ولهذا كانت اعمال العقل كثيرة التناقض شديدة التغير مملوءة بالمفارقات فترى الرجل الذكي الفوّاد والعالم المتضلع طروباً بسخافة نفوراً من حقيقة. فاذا نظرت الى كل ذلك من خلال مذهب النشوء والتحول تبدي لك الحقيقة الناصعة وسهل عليك حل هذا الاشكال. فاجابني بعضهم مرة بقوله « انك لمصيبة على الناس لمغايرتهم في افكارهم » فاجبته بقولي « اذا جازت الشكوى فمن منا اولى بالشفقة انتم الذين مصيبتكم بي واحدة ام انا الذي مصيبتني بكم متعددة » واذا كنت كتبت ما يغاير مجرى الافكار غالباً او حددت الانتقاد احياناً فليس لاني كنت اطمع بان ارد الناس اليّ في هذا الزمن القصير وانا لا اجعل ما يحول دون ذلك من الصعوبات بل لاني قصدت مباغنة الافكار للفتها الى غير مألوفا. وان كنت لا اجعل ان القاء الحجر في المستنقعات الراكدة لا يقلق الضفادع المطمئنة الاّ ريثما ينقضي حذرهما فتمعود الى نقيتها الاّ اني لا اجعل ايضاً فعل الخمر الحمر. فان اقل ما يعلق بالعقول حينئذ من اثر الافكار المخالفة ينمو فيها غالباً بسرعة الاختار نفسه خصوصاً اذا صادف استعداداً في النفوس كامناً فيها لكثرة البواعث الضاغطة عليه فيكون مثل هذا التنبيه له بمثابة الشرارة في اثاره كامن القوى المتجمعة. ولعل الناظر الى ما بين طرفي هذه الفترة القصيرة من ذلك العهد الى اليوم لا يسعه الاّ الاعتراف بصحة هذا القول

الدكتور شميل

جوامد كالنبات

اتفق لنا ونحن ندرس الكيمياء منذ نحو ثلاثين سنة ان ابقينا الانابيب الكشف ذات يوم مملوءة بما فيها من السوائل الكيماوية لانه لم يتيسر تنظيفها وعدنا بعد يومين او ثلاثة فوجدنا واحدة منها مملوءة بشيء كالنبات خيوط دقيقة نابتة من اسفل الانبوب الى اعلاه كل خيط منها قائم بنفسه كابر الصنوبر لكنه اسطواني تماماً وكأنه مؤلف من حوصلات مستطيلة الواحدة فوق الاخرى لونها عسلي وفيها شيء من الشفاف كسوق زهر النبات المعروف بيجور مريم ولكنها اذق منها وهي مستقيمة او منحنية لا يشك من يراها انها مادة نباتية نامية في الانبوب. وكانت الانابيب كثيرة وكان الدرس الذي ملئت لايضاحه عمومياً شاملاً لمواضيع مختلفة على سبيل المراجعة في الكيمياء الآلية فتعذر علينا معرفة المواد الكيماوية التي تولد منها هذا المركب الشبيه بالنبات ولم نكن قد قرأنا عن مركب مثله في كل ما وقع لنا من كتب الكيمياء ولا عثرنا على ما يشبهه في السنتين التاليتين. ثم لم نعد نلثفت الى المواضيع الكيماوية الا نادراً. وبالامس رأينا في بعض الجرائد العلمية صوراً تشبه ذلك المركب او ذلك النبات الكيماوي الذي رأيناه منذ نحو ثلاثين سنة ويقال فيها ان الاستاذ لدوك الفرنسي ادخل نقطة من مذوب السكر فيها شيء قليل من فروسيانيد البوتاسيوم في مذوب كبريتات النحاس الخفيف فوجد ان نقطة مذوب السكر تغطي بغلاف رقيق من فروسيانيد النحاس وهذا الغلاف يدخله الماء ولكن لا يدخله السكر فهو مثل الحويصلة النباتية من هذا القليل فيجعل ينمو وينشأ منه فرع كبرعم النبات فيحيط به غلاف من فروسيانيد النحاس يدخله الماء وينميه فيطول ويتولد منه فرع آخر وهلم جرا. وهذه الفروع تمتص السوائل التي حولها وتنمو بها والغالب ان الخيط الذي ينمو كذلك يتولد في اعلاه انتفاخ كروي او مخروطي

ثم ان انتشار السوائل بعضها في بعض واختراق الحواجز الذي بينها لا ينحصر ان في تكون خيوط نباتية الشكل مثل هذه بل يكونان ايضاً اشكالاً هندسية بدیعة وتزايق قياسية كما اوضح الاستاذ لدوك فاذا اذبت الجلاتين في الماء حتى يكون منه درهم من الجلاتين في عشرة دراهم من الماء واضفت اليه نقطة من مذوب ما مثل كلوريد الامونيوم او بروميد او يوديد وصبت منه خمسة سنتمترات مكعبة على لوح من الزجاج حتى تنبسط عليه ثم صببت على هذا الجلاتين نقطاً من بعض المحاليل مثل نترات الكلسيوم او نترات الفضة او شترات البوتاسيوم وصبت هذه النقط في اشكال قياسية على اللوح وتركته موضوعاً وضعاً افقياً رأيت النقط التي

صبتها عليه اخذت تنتشر على سطحه رويداً رويداً وتكون صوراً بديعة في اشكالها والوانها يمكن الصاقها على ورق سميكة كأنها صورة مطبوعة بالالوان ويكون في هذه الصور خطوط بعضها شفاف وبعضها غير شفاف وداليك وشحنها يختلف من عشر المليمتر الى جزء من الف من المليمتر فتحلُّ النور وتعكسه كعنق الحمام وتختلف اشكالها والوانها باختلاف المواد الكيماوية واجملها يحدث من محلولي فصفات البوتاسيوم و كربونات البوتاسيوم فتتألق حينئذ كعرق اللؤلؤ ولا يخفى ان الانسجة الحية تؤلف من خيوط مجبوكة كذلك كما ترى في عرق اللؤلؤ واجنحة الفراش وريش الطيور وعضلات الانسان واعصابه واغشيته ونحو ذلك من المكونات الحية وكلها تحمل النور وتعكسه على هذه الصورة ولم يعلم قبلاً كيف تكونت كذلك فعلم امرها الان وعرف سببها وهو انتشار الذوبات وتكون الخطوط منها

ومسير العلم الآن الى تحليل النواعل الحيوية بعلاها الطبيعية . وكل يوم تكشف امور جديدة تدلُّ على وحدة الخلق ووحدة القوى ولكن هل يكشف سر الحياة اخيراً او لا يكشف هذه مسألة المستقبل كفيل يجلبها

وهب ان الانسان عرف كيف يصنع الفراشة الحية من المواد التي تتركب منها فيكون ذلك من قبيل صنع السكر من المواد التي يتكون منها وصنع الماء من العنصرين اللذين يتكون منهما . وغاية ما في صنع الفراشة انه اصعب جداً من صنع السكر لكثرة العناصر الداخلة في تركيبها وتنوع الحويصلات والاعضاء التي يتركب جسمها منها واتصافها بصفات تولدت فيها بالانتخاب الطبيعي والجنسي بعد الوف والوف الوف من السنين حتى يصح لنا ان نقول انه يتعذر تكوينها ما لم تمر على الاطوار التي مرت عليها اسلافها وما لم يمر عليها من الزمن ما يكفي لذلك . ولكن اذا تعذر عمل الفراشة فقد لا يتعذر عمل الحويصلات الحية او الميكروبات المؤلفة من حويصلة واحدة او الاحياء التي لا تزال في ابسط تركيبها ولا تكاد تمتاز عن الحويصلات الكيماوية المشار اليها آنفاً . وقد يختصر الانسان الطرق لتكوين الحويصلات الحية وما يتركب منها كما اختصر في تركيب كثير من المواد الكيماوية مثل نترات الصودا . ولكن هل يستتب له بعد ذلك ان يصنع الاحياء المرتقية التي اقتضى تكوينها ووصولها الى حالها الحاضرة الوف من القرون وعمره محدود واقامته على هذه الارض لا تدوم الا سنين قليلة . هذه مسألة جوابها بديهي وهو ان عمر الانسان وعمر نسله مهما طال في الارض لا يكفي لشيء من ذلك فيبقى خلق المخلوقات العليا في يد خالقها او يد النواميس الطبيعية التي سنها لها

معجم الحيوان

(تابع ما قبله)

السنل . المكلفة . كاسر العظام . الفينة (يونانياتها Phene)

Gypaetus barbatus. E. Bearded vulture or ossifrage. F. Phene ou vautour barbu.

طائر من سباع الطير بين النسر والعقاب يحمل كل عظم فيه ثم حتى اذا كان في كبد السماء ارسله على صخرة فينكسر فيهبط فياكل منه ولذلك سمي كاسر العظام بالعربية واللاتينية وهو برس بالعبرانية اي الكاسر يقابلها مادة فرس بالعربية . ويعرف هذا الطائر في السودان بابي ذقن (barbatus) لان له ما يشبه اللحية

اما لفظة الفينة فهي الفينة في ما وقفت عليه من كتب اللغة ويظهر ان الدميري قرأها الفينة واطنه مصيب في ذلك قال « الفينة طائر يشبه العقاب اذا خاف البرد انحدر الى اليمن قاله ابن سيده والفينات الساعات يقال لقيته الفينة بعد الفينة فكأن هذا الطائر لما كان في حين ينحدر الى اليمن وفي حين آخر يذهب عنها سمي باسم الزمان » . وفي المخصص لابن سيده « الفينة طائر يشبه العقاب فاذا خاف البرد انحدر الى اليمن وهو من الفي اي الرجوع » . فوجد ان الدميري نقل القسم الاول من عبارته عن ابن سيده وخالفه في قراءة اللفظة واشتقاقها وعندني انه مصيب في القراءة ولعل اللفظة يونانية وقد وردت في اوديسية هوميروس وكتاب النعوت لارسطو وغيرها وقيل ان اسخولس الشاعر اليوناني المشهور قتلته فينة وذلك انه خرج يوماً حاسر الرأس وكان اصلع فرأته فينة تحمل سلفاة كبيرة فالتفتها عليه ظناً منها ان رأسه صخرة ملساء فقتلته . وكثيرون من علماء الافرنج قرأوا هذه اللفظة فينة في الدميري منهم بوخارت وسافيني وغيرها

وهذا ما جاء في كتاب النعوت لارسطو عن هذا الطائر قال « والعقاب تبيض ثلاث بيضات ينقف منها اثنتان فقط فتقوي فرخاها القت واحداً منهما فتعطف عليه الفينة وتريه » (كتاب النعوت ٦ : ٦ : ١) وقال الجاحظ ما نصه « زعم صاحب المنطق انه ليس شيء في الطير اجنى لفراخه من العقاب وانه لا بد من ان يخرج واحداً وربما طردهن جميعاً حتى ينجي طائر يسمى كاسر العظام فيتكفل به » . وقال الدميري وهو بلا ريب ترجمة كلام ارسطو

ايضاً « والعقاب تبيض ثلاث بيضات في الغالب وتحضنها ثلاثين يوماً ٠٠٠٠ فاذا خرجت فراخ العقاب القت واحداً منها لانه يُثقل عليها طعم الثلاث وذلك لقلة صبرها والفرخ الذي تلقيه يعطف عليه طائر آخر يسمى كاسر العظام ويسمى المكلفة فيريه ٠ وقال عن المكلفة ما يأتي « المكلفة طائر قال الجاحظ لما كانت العقاب سيئة الخلق تبيض ثلاث بيضات فتخرج فراخها فتلقي واحداً منها فيأخذه هذا الطائر الذي يتكلف به قيل له المكلفة ويسمى كاسر العظام فيريه »

وفي المخصص لابن سيدة « السئل طائر مثل النسر عظيم يضرب الى السواد يحمل عظم الفخذ من البعير او الساق او كل عظم فيه مخ حتى اذا كان في كبد السماء ارسله على صفاء او صخرة فينكسر فيهبط فيأكل منه »

فيظهر مما تقدم ان الفينة والسئل والمكلفة وكاسر العظام اسماء لهذا الطائر المسمى Phene عند اليونان و Ossifragus عند الرومان و Gypaetus barbatus عند علماء الحيوان كما يتضح من وصفه في مؤلفاتهم

قلت ان هذا الطائر يسمى برس بالعبرانية وقد ورد ذكره في التوراة وهو الانوق في الترجمة العربية ولا يخفى ان الانوق طائر آخر سيأتي ذكره واري ان ترجمة اللفظة العبرانية بكاسر العظام او السئل اقرب الى الصواب

❖ الرخمة . الأنوق ❖ Neophron percnopterus. E. Egyptian vulture or Pharaoh's hen. F. Percnoptère ou poule de Pharaon.

طائر ابقع اصلع الرأس اصفر المنقار وهو في عرف علماء الحيوان نوع من النسور والعاملة في الشام تسميه الشوكة . اما في المغرب ومصر والسودان وبلاد العرب فيعرف بالرخمة الى هذا اليوم

وفي دائرة المعارف العربية الرخمة طائر آخر يعرف بالحوصل او جمل الماء Pelican ولعل ذلك مأخوذ عن مقالة لمرحوم الدكتور زلزل في السنة الثانية من المقتطف صفحة ٥٨ والذي اراه ان وصف الرخمة في كتب اللغة وغيرها ينطبق على وصف الطائر المعروف بهذا الاسم في وقتنا الحاضر كما ذكر بروس وسافيني وترسترام وغيرهم من السياح والعلماء الذين سمعوا هذه اللفظة من العرب وهي الترجمة المعول عليها عند المستشرقين وعلماء التوراة . ويسمى هذا الطائر راحم بالعبرانية ويظن ان الاسم العربي والعبراني من مادة رحم اورخم وسميت الرخمة بذلك

للينها او عطنها على اولادها ومن هذه المادة اشتقت الفاظ كثيرة ترجع كلها الى العطف او اللين او الخنو والذي كالرحمة والرحم والرخامة والترخيم ورخمت الدجاجة اي حضنت بيضها والفاظ كثيرة غيرها كما يتضح من مراجعة باب رحم ورخم في كتب اللغة . وذكر بروس نقلاً عن هورس افلون ان الرحمة كانت رمز الخنو والذي عند قدماء المصريين ولا يخلو هذا الرأي من الصحة فالعرب كان عندهم شيء من هذا فقد جاء في الديميري في باب الأنوق ان في اخلاق الرحمة اربع خصال تحضن بيضها وتحمي فرخها وتألف ولدها ولا تمكن من نفسها غير زوجها . وقيل ان الرحمة سميت بذلك لونها تشبيهاً لها بالشاة الرخماء وهي التي ابيض رأسها وعنقها واسود سائرها^(١)

اما وصف الرحمة في كتب اللغة فينطبق على وصف الطائر المعروف بالشوكة في الشام فالرخم في محيط المحيط « طائر ابقع يشبه النسر في الخلقة ويقال له الأخوق (صوابها الأنوق) يخنار لبيضه اطراف الجبال الشاهقة ومواضع الصدوع وخلال الصخور ليعسر الوصول اليه والعامه تسميه الشوح » . وفي المخصص « الرحمة طائره ضخمه بيضاء تأكل الجيف ولا تصطاد ويقال لها الأنوق . . . وربما خالط لونها الاختماس يعني النقط الصغار لا ترى والرحمة بعظم العقاب ولا تبيت الا في ارفع موضع تقدر عليه . . . ولا يرى يبيض الأنوق الا في شق جبل او رأس عضاة^(٢) لا يقدر عليه » . ففي بعض كتب اللغة الرحمة طائر ابقع وفي غيرها طائر ابيض ربما خالط لونه الاختماس وكلاهما صواب لان الرحمة قبل بلوغها يضرب لونها الى السواد ثم تبيض شيئاً فشيئاً

الدكتور

امين المعلوف

(١) كذا ورد وصف الشاة الرخماء في كتب اللغة وذكر بروس في رحلته ان اشاة الرخماء في اليمن ما اسود راسها وعنقها وابيض سائرها وهي الدرعا في كتب اللغة وهذه الغنم نراها احياناً في اسواق مصر ويسمونها الغنم اليمنية وقد رايتها مراراً ولا اقدر ان اتذكر هل هي كما قال بروس او عكس ذلك

(٢) العضاة كل شجر يعظم وله شوك واكثر العضاة المعروفة عند العرب من جنس الافاقيا *Acacia* كالسنط والسلم والسمر والطلح والسيال وهذه الاسماء معروفة في السودان الى يومنا كما جاء عنها في كتب اللغة . ومن العضاة ايضا الاراك *Salvadora* لكنني ليس من الافاقيا

المخلوقات الناقصة الاعضاء

(من كتاب تحت الطبع ترجمة وعلق حواشيه حضرة الكاتب المجيد الياس افندي غضبان)

يتناول هذا القسم المخلوقات الناقصة الاعضاء وهي نظير المخلوق ذي العين الواحدة الذي يدعونه بالسيكلوب . والمخلوق ذي الساق الواحدة . والاجم . مولد اي بدون ساقين . او الاقطع الطبيعي وهو المولود بذراع واحدة او الاقطع الذراعين . وبالاجمال جميع المخلوقات التي تولد فاقدة عضواً واحداً أو أكثر من عضو

اما ذو العين الواحدة او ذو الساق الواحدة ومن يولد على شاكلتها فهو لاء ينقص فيهم على الغالب ذلك العضو باختلاط العضوين وتمثلها في عضو واحد . ويتم سبك هذين الجزئين بشداخل العضوين في بعضها بعضاً وامتزاجهما معاً حتى لا يعودا يمثلان الاً عضواً واحداً . اما العالم بفن التشريح فانه مع ذلك يكتشف دائماً في وسط العضو الممثل على هذه الكيفية الخط الذي كان يفصل بين ذينك العضوين

اما اصحاب العين الواحدة او الساق الواحد الذين عاشوا بعد مولدهم فهو لاء قليلون جداً ويعدونهم من النوارد . . وان الشواهد التي يذكرونها عنهم هي على الغالب شواهد قصصية لا يمكن ان يعول عليها . الا ان احد آباء الكنيسة الصادق الرواية يؤكد انه تحدت مع اناس كان جسمهم قائماً على ساق واحدة نظير ما يركزون هيكل شخص فوق عامود . وانه فضلاً عن منزلة الراوي العالية بين اصحاب التأليف مع ذلك ان المسألة خارقة الطبيعة يجوز للمطالع ان يشك بامرها ولا يحتم بتصديقها (١)

(انظر الرسامين التاليين) تشاهد صورة هولتين تمثل احدهما صورة انسان له بعض التناسب بشكل الاسد وتمثل الاخرى رجلاً بذنب او ان عظم عصعصه طويل فهو اشبه بالذنب ويحتوي المؤلف الجليل في علم التشريح وطبائع العلل للاستاذ كروفيليه على جملة رسوم هول بشرية على شاكله ذوات الاربع تحتفظ اعضاؤها بالشكل الانساني ويختص باقي الجسم

(١) قال في الحكم التناس هو خلق في صورة الناس مشتق منهم لضعف خلقهم - وقال في الصالح هو جنس من المخلوق ينبت احدهم على رجل واحدة - وذكر المسعودي في مروج الذهب انه حيوان كالانسان له عين واحدة يخرج من الماء ويتكلم ومتي ظفر بالانسان قتله - وذكر القزويني كما سبق عن الشافعي ان امرأة من قري بلخ ولدت شخصاً له نصف بدن ونصف راس ويد واحدة ورجل واحدة على صورة التناس الذي يوجد في غياض الشجر باليمن

بشكل البهيمة^(١). واننا نختم هذا القسم في الهول الناقصي الخلقة وذلك بان نورد لمحة من تاريخ لويس بن سيزار بن يوسف ديكورني وهو المولود في مدينة ليل من اعمال فرنسا في ١٠ يناير (كانون الثاني) سنة ١٨٠٦ وهو الذي كان طوله ثلاث اقدام وثمان عقد. وكان رأسه وصدره حسني التركيب معتدلي الحجم. وفي عموده الفقاري بعض ميل طفيف الى الجانب الايمن. ولم يكن له ذراعان بالكلية. اما اعضاؤه السفلى فكانت مكونة من



ساقين قصيرتين للغاية كانتا عند مولده مفككتين ومخلوعتين من وركيهما لكنهما ثبتتا فيما بعد في مركزيهما من تلقاء ذاتهما وفقدتا جانباً كبيراً من حركتهما الطبيعية. اما الرجلان فكانتا حسنتي التركيب وكان الفرق بين الابهام والاصبع الذي يليه اوسع من الحالة الاعتيادية

(١) ذكر صاحب عجائب المخلوقات انه في جزيرة اطوران قوم على هيئة الانسان ورؤوسهم كروؤوس السباع فلما دنت منهم مراكب الاسكندر غابوا عن ابصارهم

وبالنظر الى التمرين اليومي الذي كان يمرن فيه رجله على تناول الاشياء والقبض عليها قد توصل الى نتيجة حسنة وذلك باعتماده على رجله في مقام يديه

كان لديكورني منذ نعومة اظفاره ميل فطري للرسم والتصوير . بحيث انه كان يقبض برجله على الاقلام الملونة فيبريها ببراعة فائقة ويبثد بان يرسم بها . واتفق ان استاذ التصوير في مدرسة ليل المدعو واتو ابصره مجتهداً في الرسم وتحقق ما عنده من الميل لفن التصوير فاحب ان يعتني بامرء ويعطيه بعض امثولات في هذا الفن . فنجح نجاحاً باهراً ونال في مدة بضع سنوات اول جائزة سنوية تعطى في هذا الفن في مدينة ليل

ثم انه عقي ذلك شخص الى باريس ليزداد ثقفاً في صناعته وكان له ذلك اذ نالت مصنوعاته حظاً وافراً ومقاماً رفيعاً في معرض باريس واحرز عليها جملة اوسمة وحق له ان يعرضها مع مصنوعات المصورين البارعين في ذلك العصر . وفي سنة ١٨٣٢ اوصته الحكومة ان يصور رسم الملك ليوضع في دار حكومة ليل . وفي السنة التالية اوعزت اليه ان يرسم نظيره لدار حكومة سيسترون . ولقد اشغل ثلاث سنين متوالية في تصوير مريم المجدلية منطرحاً على اقدام السيد المسيح بعد بعثه من الاموات . ولما اتم تصويرها واحكم انقائها عرضها للبيع فاشترها منه وزير الداخلية ثمن وافر

كان تركيب رأس ديكورني هائلاً فكانت جبهته عالية جداً وعيناه حادتي البصر . وحديثه رقيقاً ينفن به نظير الاذكاء ذوي الشعور الصحيح وارباب الفنون السامية . وقد تمت له الشهرة خصوصاً في فن التصوير الذي عظم سمعته وزاد في تعارف الناس به . وكانت والدته شجبة كثيراً وتعني بامرء وتسهر على حراسته منذ مولده وتضمه الى صدرها كأنه من الاولاد المكمل التركيب البدعي المنظر . فلما شب وبلغ اشده اخذ يقابل تلك الوالدة الشفوقة بما في وسعه من الشكر والارضاء . وكان يعولها مما يكسبه (من كد رجله لا من كد يديه) فكان انعطافه هذا البنوي نحو تلك الام المسكينة مما يخفف من بلاها ويجهلها في غبطة من العيش وفي اسمى مراقي السعادة

كان يشاهد من بضع سنوات في ميادين باريس العمومية ومفارق طرقها رجل اقطع النراعين منذ مولده يعمل برجله اعمالاً مختلفة الاشكال وبغاية الاهمية يدesh بها المارين ويستلقت انظارهم . وقد اتخذ ذلك وسيلة يرتزق بها ويستطرا كف مشاهديه فانه كان يقبض باحدى رجله على ريشة اوزة ويتناول بالآخرى سكيناً يبري به الريشة ثم يأخذ قرطاساً ويكتب به بغاية الضبط والانقان . وهو ينفن في الكتابة فيرسم جملة اشكال خطية

يعسر على اكبر خطاط ان يأتي بمثلها . وكذلك كان يأخذ ابرة ويدخل فيها خيطاً مبتهي السرعة ويخيط خياطةً متقنةً نظير امهر الخياطات . ثم يتناول برجليه غدارةً فيحسوها بالذخيرة ويطلقها في الفضاء . وكان يقدح بزناده فيشعل به غليونته ويبتدىء بالتدخين . ويأخذ لولباً ينزع به سداً زجاجة من المشروب و يفرغها في كأس ويشربها على نخب مشاهدته الى غير ذلك من الاعمال الدقيقة التي كان يعملها وقد ضربنا عنها صفحاً (١)

فيستأنج مما تقدم ان تلك البراعة المدهشة باستخدام عضو من الاعضاء في اعمال ليست هي من وظائفه مما يبرهن على ان التمرين المستديم يبدل بعد زمان طويل حركة ذاك العضو ويغير الشكل المتصف به . ذلك ان ابهامي هذا المسكين الناقص التركيب كانا اطول بكثير واشد ليونة منها في طبيعتهما الاعتيادية بحيث كان هذا التكيف المكتسب بالتمرين سبباً لاتخاذ الرجلين في مقام الذراعين اللتين افقدته اياها الطبيعة

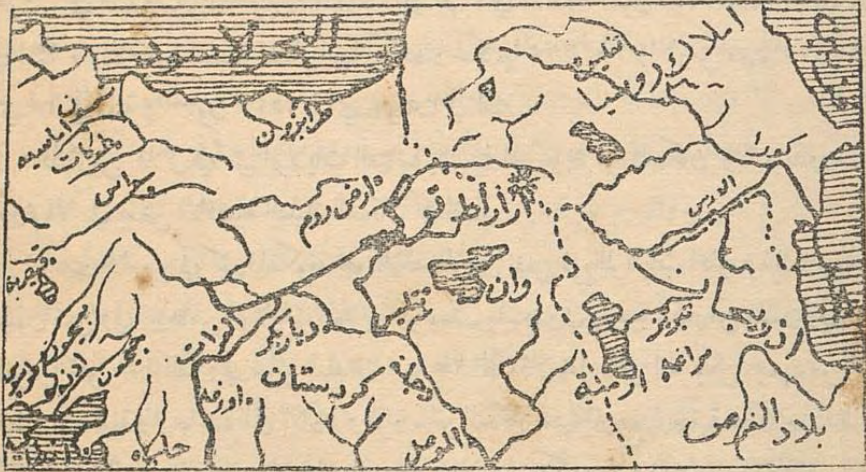
ارمنية والارمن

يود كثير من العثمانيين ان يعرفوا موقع ارمينية وتاريخها وعدد سكانها من الارمن ومن غيرهم . فاقطعنا هذه المقالة مما كتبه بعضهم حديثاً في هذا الموضوع كالسر تشارلس ولسن والمستر تشارلس نسبت ومحور كتاب السياسة لسنة ١٩٠٩ وغيرهم من الثقات كانت ارمينية مملكة مستقلة وعرفت بهذا الاسم في زمن داريوس المادي قبل المسيح بخمس مئة سنة وثقلت عليها الاحوال قبل ذلك وبعده فكانت تستقل تارة وتخضع لغيرها اخرى كما سيبي . اما تاريخها قبل داريوس فيوصله الارمن الى النبي سنة قبل المسيح وهي بلاد جبلية في اعالي وادي دجلة والفرات والارس وكورا طولها نحو ٦٠٠ ميل وعرضها نحو ٤٠٠ ميل فتحداد مساحتها تماثل مساحة بلاد فرنسا . واكثرها جبال تعلو عن سطح البحر ٨٠٠٠ الى ١٢٠٠٠ قدم وفيها جبل اراراط الذي يقال ان سفينة نوح استقرت

(١) ولا بد من ان يتذكر بعض اعالي القامرة الفتاة المحلية التي قدمت الى هذه العاصمة من منذ اربع سنوات وعرضت نفسها في جهة روض الفرج ليشاهدها الناس . فكانت بداها في نهاية القصر لم تكن لها سوى قطعة من ذراع بغير عضد ولا مرفق ولها اصابع غير كاملة العدد ولا العجم . وكانت تستخدم رجليها في الخياطة والكس وغسل الثياب وغير ذلك . وتتناول بها آلات الطعام من الملعقة والشوكة وتاكل بها وتأخذ فجان القهوة وكوب الماء فتشربه كذلك

عليه وعلوه نحو ١٧٠٠٠ قدم وفيها سهول عالية يبلغ ارتفاع بعضها عن سطح البحر ٦٠٠٠ قدم . واودية واسعة بين جبالها تجري فيها الانهار فترويتها قبلما تضيق مجاريها . وفيها بحيرتان كبيرتان بحيرة وان وبحيرة ارمنية ومياههما ملحة وثلاث بحيرات صغيرة . والاودية واسعة شديدة الخصب والجبال قليلة الشجر ولكنها مغطاة بالنبات

ويشدد البرد شتاءً والحر صيفاً في الجهات الشمالية الشرقية فتختلف درجة الحرارة بين ٢٢ تحت الصفر بميزان فارنهایت و ٨٤ فوق الصفر وهو اختلاف كبير جداً ولكن الصيف قصير جاف . واما الجهات الجنوبية الغربية فحرها معتدل وبردها معتدل



بلاد ارمنية باقسامها الثلاثة

والبلاد كثيرة المعادن من الفضة والرصاص والحديد والزرنيخ وينبت فيها كل نباتات المنطقة المعتدلة والباردة كالكرم والقمح والارز والقطن . ومراعيها واسعة تسوّم فيها قطعان الاكراد وانعامهم ويكثر السمك في انهارها وبحيراتها وكان القدماء يقسمونها الى ارمنية الكبرى وهي تشمل نصفها الشرقي وارمنية الصغرى وهي ما وقع منها غربي الفرات

وهي مقسومة الآن الى ثلاثة اقسام قسم للفرس وهو بلاد اذربيجان وعدد سكانه نحو مليون نفس الارمن منهم نحو ١٥٠ الفاً وعاصمته مدينة تبريز وعدد سكانها نحو ٢٠٠ الف نفس وقسم للروس وهو يشمل ولايات اروان واليصبابول والقارص وجانب من تفليس وعدد

سكانه نحو ثلاثة ملايين نفس وعدد الارمن فيه وفي سائر بلاد الروس مليون و ١٧٣ ألفاً وقسم لتركيا وهو الاكبر ويشمل ارمنية الصغرى وجانباً من ارمنية الكبرى اي ارض روم وديار بكر وبثليس ووان وخربوط وسواس وحلب وادنه وطرابزون

وعدد الارمن في هذه الولايات نحو مليون نفس وعدد سائر المسيحيين نحو ٦٤٥ ألفاً وعدد اليهود ١٠٠ الف نفس وعدد المسلمين نحو اربعة ملايين ونصف . ولا يزيد الارمن على غيرهم من السكان الا في سبعة اقصية من ١٥٩ قضاءً . واكثرهم في ارض روم ووان وبثليس وخربوط وديار بكر . وسكان هذه الولايات ٢٦٤٢٠٠٠ والارمن فيها ٦٣٣٢٥٠ او نحو ٢٤ في المئة وسائر المسيحيين ١٧٩٨٧٥ او نحو ٧ في المئة والمسلمون ١٨٢٨٨٧٥ او نحو ٦٩ في المئة . والاقضية السبعة المشار اليها آنفاً عدد سكانها ٢٨٢٣٧٥ والارمن منهم ١٨٤٨٧٥ اي ٦٥ في المئة والمسلمون ٩٦٥٠٠ اي نحو ٣٥ في المئة

فالارمن قلال في كل الولايات العثمانية بالنسبة الى غيرهم من السكان ولا يزيدون على غيرهم الا في بعض الاقصية القليلة السكان كما تقدم

وعدد الارمن في كل المسكونة نحو ثلاثة ملايين نفس ففي الولايات الارمنية العثمانية نحو مليون نفس وفي غيرها من الولايات العثمانية نحو نصف مليون وفي روسيا اكثر من مليون وفي بلاد الفرس نحو ١٥٠ ألفاً وفي سائر البلدان نحو ٢٥٠ ألفاً . فلا يحلم عاقل انه يمكن جمعهم من كل اقطار المسكونة وارجاعهم الى بلادهم وطرد سائر السكان منها لترجع ارمنية مملكة مستقلة كما كانت في سالف عهدها . ولا نظن ان عقلاء الارمن يفكرون في ذلك علي الاطلاق لانه ضرب من المحال

وتاريخ ارمنية مرتبط بجغرافيتها الطبيعية فان انفصال اوديتها عن سائر البلدان ولاسيما في فصل الشتاء سهل على سكانها الخروج عن طاعة الملوك الذين كانت خاضعة لهم ولاسيما اذا كانوا ضعافاً . ووعورة جبالها عوّدت رجالها الشدة وغرست في نفوسهم الانفة شأن كل سكان الجبال المنيعه

ولكن ارمنية وسط بين الشرق والغرب فير فيها الغازون شرّفوا او غرّبوا . ولاسيما وان منها يوصل الى مروج اسيا الصغرى محط رحال غزاة المشرق من قديم الزمان . وكان اسمها قديماً بياناس وكانت عاصمتها ذسباس وهي مدينة ووان ، وقد وجدت فيها اثار ملوكها الاقدمين واول ملك منهم سردورس وكان قبل المسيح بنحو ٨٣٣ سنة وكتابات منقوشة بالقلم المسناري بلغة لاسامية ولا آرية . وتلاه ملوك تغلبوا على الاشوريين والحثيين ثم تغلب عليهم تغلث

فلاسر ملك اشور سنة ٧٤٣ قبل المسيح وبعد مئة سنة رحل اليها الارمن الآريون من المشرق واقاموا فيها ومن ثمَّ ابتدئ تاريخ الارمن . وبقيت ارمنية في حوزة ملوك مادي وعليها مرازمة من اهلها يتوارثون الولاية خلفاً عن سلف الى ان استولى الاسكندر المكدوني على مملكة داريوس فولى على ارمنية الولاية من الفرس

ولما دارت الدائرة على الملك انطيوخس الكبير سنة ١٩٠ كان علي ارمنية الكبرى وال اسمه ارداشس وعلي ارمنية الصغرى وال اسمه زادريادس فاستقل هذان الاليان وكان ذلك بموافقة رومية وموازرتها وبنى الاول مدينة ارتكساتا وجعلها عاصمة مملكته . واعظم خلفائه فيها الملك تفران الذي كان سنة ٩٤ الى ٥٦ قبل المسيح صهر الملك مثرداتس العظيم . وقد بنى تفران هذا مدينة سماها تفرانوسرتا جعلها مثل بابل ونيوى واسكن فيها اناساً من اليونان وغيرهم من الاسرى ثم لما لجأ اليه حموه مثرداتس من وجه الرومانيين نشبت الحرب بينه وبينهم فقهروه ولكنهم ابقوه في بلاده خاضعاً لرومية وضربوا عليه الجزية

ثم تنازع الفرس والروم على ارمنية الى ان اقتسموها بينهم سنة ٣٨٥ ليليلاد وكانت قد تنصرت على يد القديس غريغوريوس النيرفازطهد مرازمة الفرس الارمن واضطروهم الى العصيان ففشت الثورات في البلاد واستقل امراؤها باقطاعاتهم الى ان قام هرقل وردداهم الى مملكة الروم . ثم جاء العرب ودوخوا مملكة الفرس واستولوا على ارمنية واقاموا الولاية عليها منهم ومن الارمن الى زمن الخليفة المعتمد سنة ٨٨٥ (٢٧٢ هـ) فنصب عليهم ملكاً منهم وهو بغراتد اشود الاول فتوالى الملوك من نسله على ارمنية الى سنة ١٠٧٩ ثم ان الخليفة المقتدر نصب كاجيج ارزرونيان ملكاً على وان وذلك سنة ٩٠٨ (٢٩٦) فتوالى الملوك من نسله عليها وعلى سواس الى سنة ١٠٨٠ . وانشأ آل بغراتد دولة في القارص بقيت من سنة ٩٦٢ — ١٠٨٠

وظلت البلاد من ديار بكر الى ملاسجرد تحت سيادة العرب فالروم فالسلاجقة من سنة ٩٨٤ الى سنة ١٠٨٥ . فهجرها كثيرون من الارمن واستوطنوا القسطنطينية وتزوجوا في الروم وانتظموا في جيوشهم واغضب واحد منهم سرير الملك سنين وصار اثنان منهم امبراطورين وصار بعضهم من مشاهير القواد . وغزا باسيلوس الثاني ملك الروم ارمنية سنة ٩٩١ وهادنه واليها الحسن بن مروان عشر سنين ثم غزاها سنة ١٠٢١ واخذ سواس وانزل فيها الارمن وكان غرضه ان يقوي حصون ارمنية كلها ويضع فيها المقاتلة من جنوده لكن خلفه لم يعباً بتحصين البلاد بل برد اهلها عن بدعتهم الدينية على زعمه

وتعاقب الروم والسلاجقة على البلاد يثخنون في اهلها ويجرعونهم غصص المنون الى ان استولى عليها الب ارسلان سنة ١٠٧١ فصارت جزءاً من بلاد السلاجقة الى ان تجزأت سنة ١١٥٧ بين العرب والاكراد والسلاجقة ثم جاء المغول سنة ١٢٣٥ فاكسحوها

وخلاصة ما ذكره 'ياقوت الحموي في معجم البلدان عن بلاد ارمنية انها كانت في عهده (اوائل القرن السابع) كثيرة الممالك . ونقل عن ابن واضح الاصبهاني انه كتب لعدة من ملوكها واطال المقام بارمنية ولم يرَ بلداً اوسع منه ولا اكثر عمارة . وذكر ان عدة ممالكها مئة وثمان عشرة مملكة منها مملكة السرير وهي ثمانية عشر الف قرية وارآن وفيها اربعة آلاف قرية واكثرها لصاحب السرير وسائر الممالك فيما بين ذلك تزيد على اربعة آلاف وتنقص عن مملكة صاحب السرير

قال وسئل بعض علماء الفرس عن الاحرار الذين بارمنية لم سَمُوا بذلك فقال هم الذين كانوا نبلاء بارض ارمنية قبل ان تملكها الفرس فاعتقوهم لما ملكوها واقروهم على ولايتهم فسموا احراراً لشرفهم

وذكر ياقوت مدن ارمنية مدينة مدينة وتاريخها من اول نشأتها الى عهده في اوائل القرن السابع للهجرة فقال في الكلام على تفليس مثلاً انها مدينة قديمة عليها سور عظيم وبها حمامات شديدة الحر لا توقد ولا يسقى لها ماء فانها عيون تنبع من الارض حارة . افنتحها المسلمون في ايام عثمان بن عفان . فان حبيب ان مسلمة سار الى ارمنية فافتتح اكثر مدنها فلما توسطها جاءه رسول يسأله الصلح واماناً يكتبه لم فكتب لم اماناً يقول فيه «من حبيب بن مسلمة لاهل تفليس بالامان على انفسهم ويبيعهم وجوامعهم وصلواتهم ودينهم على الصغار والجزية على كل بيت دينار ولنا نصيحتكم على اعداء الله ورسوله ما استطعتم وقرى المسلم المحتاج ليلة بالمعروف من حلال طعام اهل الكتاب فان اتيتم واقمت الصلاة فاخواننا في الدين والا فالجزية عليكم وان عرض للمسلمين شغل عنكم فقهركم عدوكم فغير مأخوذ من بذلك ولا هو ناقض عهدكم . هذا لكم وهذا عليكم شهد الله وملائكته وكفى بالله شهيداً»

والمرجح عندنا ان الكتاب موضوع وضعه احد الكتّاب للارمن كما وضع غيرهم كتباً مثله زعموا انها كتب امان من الصدر الاول . ولكن ذكر ياقوت له في صدر القرن السابع للهجرة يدل على قدمه وعلى ان الارمن كانوا في ذلك العهد يطالبون ملوك المسلمين ببرهم

ثم قال ياقوت ان تفليس بقيت بايدي المسلمين واسلم اهلها الى ان خرج في سنة ٥١٥ هجرية من الجبال المجاورة لتفليس جيل من النصارى يقال له الكُرَج في جمع وافر واغاروا على

ما يجاورهم من بلاد الاسلام وكان الولاة منها قبل الملوك السلجوقية قد استضعفوا لما تواتر عليهم من اختلاف ملوكهم وطلب كل واحد الملك لنفسه فواقع الكرج ولاة ارمنية وقائع كان اخرها ان استظهر الكرج وهزموا المسلمين ونزلوا على تفليس فحاصروها حتى ملكوها عنوة واستقروا بها واجملوا السيرة مع اهلها وجعلوهم رعية لهم ولم نزل الكرج كذلك وولاة الامر مشغولون عنهم بشرب الخمر وارتكاب الفجور حتى قصدهم جلال الدين منبركي بن خوارزم شاه في شهور سنة ٦٢٣ وملك تفليس وقتل الكرج كل مقتلة وجرت له معهم وقائع كان ينتصر عليهم في جميعها ورتب فيها والياً وعسكراً ثم اساء الوالي السيرة في اهلها فاستدعوا من بقي من الكرج وسلموا اليهم البلد وخرج عنه الخوارزمية هاربين الى صاحبهم وخاف الكرج ان يعاودهم خوارزم شاه فلا يكون لهم به طاقة فاحرقوا البلد وذلك سنة ٦٢٤ وانصرفوا فهذا آخر ما عرفت من خبره

وقال في الكلام على ارض روم (واسمها فيه ارض الروم) انها بلدة من ارمنية اهلها ارمن ولها سلطان مستقل بها مقيم فيها وولاة ونواح واسعة كثيرة الخيرات واحسان صاحبها الى رعيته بالعدل فيهم ظاهر

وقال في الكلام على خلاط هي من فتوح عياض بن غنم سار من الجزيرة اليها فصالحه بطريقها على الجزيرة ومال يؤديه . وهي قصبة ارمنية الوسطى فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيرة وبردها في الشتاء يضرب المثل ولها البحيرة التي ليس لها في الدنيا نظير (بحيرة وان) يجلب منها السمك المعروف بالطرخ الى سائر البلاد ولقد رأيت منه يبلغ وبلغني انه يكون بغزنة وبين الموضعين مسيرة اربعة اشهر وهي من عجائب الدنيا . قال ابن الكلبي من عجائب الدنيا بحيرة خلاط فانها عشرة اشهر لا يكون فيها خفدع ولا سرطان ولا سمكة ثم يظهر بها السمك مدة شهرين في كل سنة . انتهى

وهكذا كلامه على سائر مدن ارمنية فان بعضها كان عامراً في زمانه وبعضها كان خراباً وكان في بعضها ملوك مستقلون

وساءت حال ارمنية في عهد السلاجقة لانها صارت سكة للقبائل الرحل تمر بها ذاهبة الى مروج اسيا الصغرى فخربت وهجرها اهل الزراعة ثم تم خرابها على يد تيمورلنك واضطر جمهور كبير من الارمن حينئذ الى سكن الجبال العالية والدخول في ذمة الاكراد . وهاجر البعض الى كبدوكية وكليكية في اسيا الصغرى حيث اقام بغراتد روبن سنة ١٠٨٠ واسس امارة صغيرة صارت بعد ذلك مملكة ارمنية الصغرى وبقيت مستقلة ٣٠٠ سنة وقد عاونت

الصليبيين في زحفهم على فلسطين وبقيت في عزتها الى ان حاول صاحبها ان يغير معتقد اهلها ويضمهم الى الكنيسة الرومانية فانقسموا في ما بينهم وضعف شأنهم فغزاهم سلطان مصر واستولى على بلادهم وجعل سيس وطرسوس وادنه واياس ولاية واحدة واقراً عليها الامير موسى بن سنهري وكان ذلك سنة ١٣٧٥ للميلاد (٧٧٧ للهجرة) ثم جاء نيمورلنك كما تقدم وخرب البلاد لكن خلفاءه احسنوا سياسة الرعية فعاد رئيس الارمن (الكاثوليكس) الى اشتهزين سنة ١٤٤١ بعد ان اضطر ان ينتقل منها في زمن السلاجقة الى سواس ثم الى ارمنية الصغرى

واستولى السلطان سليم على ارمنية سنة ١٥١٤ كما ذكرنا في تاريخه وسلم ادارتها الى ادريس المؤرخ وهو كردي من بثليس فقسمها الى سناجق وولى علي سهولها رجالاً من الاتراك وعلى حبالها رجالاً من اهلها فصلحت حالها وقوي شأن الاكراد فيها واجتاح الفرس ارمنية سنة ١٥٧٥ وغزاهم الشاه عباس سنة ١٦٠٤ ونقل الوفاً من الارمن الى عاصمته اصفهان وكان قد مصرها جديداً. واستولى الفرس على اروان سنة ١٦٣٩ وبقيت في حوزتهم الى سنة ١٨٢٨ حينما انتقلت الى الروس. ثم اخذت روسيا باطوم واردهان والقارص على اثر حربها الاخيرة مع تركيا. وظل امراء الاكراد كالمستقلين في ارمنية الى سنة ١٨٣٨ فضعت شوكتهم حينئذ وقاموا لاستردادها سنة ١٨٤٣ بقيادة بدرخان بك وسنة ١٨٨٠ بقيادة الشيخ عبدالله الكردي ولكن الدولة العلية ارغمتهم على الطاعة ولما جلس السلطان عبد الحميد على تخت الملك كان حال الارمن اصح مما كان في عهد اسلافه من آل عثمان ووعدت الدولة في عهده سان ستفانو ان تصلح حال سكان ارمنية وتمنع عنهم جور الاكراد والشراسة واعادت هذا الوعد في عهده برلين. ثم جاء الاتفاق على قبرص بين الدولة العلية وانكلترا وفيه وعدت الدولة بادخال الاصلاحات اللازمة لحماية المسيحيين وغيرهم من رعاياها في ولايات اسيا الصغرى ولم يذكر الارمن صريحاً في هذا الاتفاق لكنهم فهموا ان انكلترا تعهدت بحمايتهم او بحمل الدولة العلية على الاعثناء بهم بنوع خاص فذلك واهال روسيا امرهم جرّاً عليهم المحن كما سيجي

السلطان عبد الحميد

(تابع ما قبله)

(١) عبد الحميد في حياته

عاد الاستاذ فبيري الى الكلام عن السلطان عبد الحميد وهو اعرف الاوربيين به فنشر عنه مقالة مسهبه في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قال فيها التقيت به اول مرة وهو فتى في السادسة عشرة من عمره وكنت اعلم اخنه السلطانة فاطمة اللغة الفرنسية وكان اسمه حينئذ حميد افندي وكان كثير التردد على سراي زوجها راغب باشا بن رشيد باشا ولذلك لا ازال اتذكره جلياً من ذلك الحين فقد كان نحيفاً اصفر الوجه وكان يضع يده على ركبتيه وينظر في وجهي بعينه السوداءين وكأنه كان يود ان يلتقط كل كلمة فرنسية اتلفظ بها ولكني لم اعرف اطواره الا بعد حين فقد بلغني عنه انه كان يتصرف حينئذ تصرف الجواسيس

وكان في حياته مكروهاً لا يجب احداً ولا يحبه احد يهمل دروسه ويفضل عليها الجولان في منازل الحريم والوقوف على ما يقال فيها من النائم وما يجري من الدسائس فصار ذهنه مخزناً لكل انواع التخرصات والوشايات ولذلك قرّبته والده السلطان عبد العزيز اليها وهي مشهورة بتعصبها واعتقادها بالسحر قال من ذلك الحين الى الاعتقاد بالسحر والتنجيم وكل ما هو خارق الطبيعة وكان لا اعتقاده هذا شأن كبير في تدبير امور السلطنة وهو مما كان يدهش الاوربيين لانهم لا يعلمون سببه

ولجيلة العلوم كان يكرها فبقي غير عارف حتى بلسانه التركي وكنت اذا حدثته واستعملت عبارة بليغة يوقفني ويقول لي لم افهم هذه العبارة الفصيحة كلني باللغة العامية . وغني عن البيان انه كان يجهل التاريخ والجغرافية وكل العلوم والفنون ولكنه كان بارعاً بركوب الخيل وكان يسهل عليه ان يذل اشد الخيل جموحاً واصعبها مراساً حتى بعد ان ضعف جسمه

ولما رأى ابوه انه لا يعنى بغير الركب والصيد والاصغاء الى قصص النساء لم يعد يلتفت اليه وكان من صغره مقتصداً شديد الحرص . كان راتبه الشهري الف ليرة فكان ينفق منها على سرايه ويقتصد فوقر منها سبعين الف ليرة قبل ان رقي الى سدة الملك

وامتاز ايضاً من صغره بالحذر وسوء الظن بالناس وكان يحسب دائماً ان الاعداء يحيطون به من كل جانب وانهم يتصبون له الفخاخ ويدسون الدسائس . فكان يضطرب ويرتعد من

كل صوت يفاجئه . وكنت كلما مشيت معه في حديقة قصره ورأينا احداً بغتةً ينبعث من رؤيته وينزعج فيزعجني معه . وكان يغير مكان منامه حتى لا يعلم احد اين ينام وينهض في الصباح قلقاً متعباً مما يشاهده من الاحلام ولا ينتهش الاً بعد ان يستحم

ولقد عطف عليّ أكثر مما عطف على غيري من الاوربيين ولم يقيد حريتي في شيء ومع ذلك لم اكن ائتمنه لعملي انه لا يثبت على حال واحدة . وقد اراد في اول الامر ان يبقيني في خدمته فاشار الى ذلك ووعدني بالاموال والرتب وكان في الامكان ان يجعلني سفيراً او وزيراً ولكن لما تجلّى طبعه لي لم تبق بي رغبة في خدمته وفضلت ان ابقى بعيداً عنه واحافظ على وده . انتهى باختصار

هذا ولقد كان الاستاذ فبيري من اشد الاوربيين مدحاً لعبد الحميد واعجاباً بذكائه واهتمامه بترقية بلاده فكيف تغاضى حينئذٍ عن الاخلاق التي وصفه بها الآن . ان من يسكت عن امر يجيله معذور ومن مدح امراً بناءً على مدح الناس له او على ما ينسب اليه من مكارم الاخلاق معذور ايضاً ولو كان المدح كاذباً والنسبة في غير محلها ولكن ما عذر من يخفي الحقائق قصداً او يلبسها غير لباسها حتى يخدع بها من لا يعلمها . ولقد قام غير فبيري فكتبوا وكشفوا الغوامض واعلنوا الحقائق مثل جورج دوريس ابن ادوسيدس باشا الذي اشرنا اليه في الجزء الماضي ومثل المرحوم ابراهيم بك المويلجي في كتاب « ما هنالك » ولكن مدائح مثل فبيري وغيره من الكتاب الاوربيين الذين لا ينتظر منهم التزلف مثل الكتاب العثمانيين اعمت الابصار وغشت على البصائر فبقى الناس في حيرة واتهموا بالغرض والعدوان كل من جاهر بالحق . وممرت الاعوام والشر يتفاقم حتى كاد يودي بالدولة والامة

ولو انصف الكتاب وتمسكوا بعري الصدق في كل ما يكتبون لزال من هذا العالم نصف ما فيه من الشرور والمفاسد ولرايت الناس غير الناس . ولكن ما دام هذا يخفي الحقائق وذاك ينشر الاباطيل تبقى سوق الشرور رائجة ويرتقي الناس من جهة وينحطون من اخرى حتى تمر القرون وهم حيث هم او احط اخلاقاً

وما دام الكتاب العثمانيون قد جربوا هذه الخطة الخرقاء واخبروا ضررها فخلق بهم ان ينكبوا عنها ويحنبوا كل مدح واطراء ولا يتركوا هفوة لحاكم مهما كانت منزلته الا ذكروها له وغيروه بها لكي يرجع عنها ويصلح ما افسد . وليعلم الذين يسترون عيوب الحكام ويبدلون ذمهم بالمدح ولومهم بالاطراء انهم يحنون على بلادهم جنانية لا تغتفر وليعتبروا بما جرّ عبد الحميد على بلاده لانه كان دائماً مخفوقاً بالمتزائين المتلقين الذين يتغنون بمدحه وعيونهم ترى سيئاته

(٢) السلطنة في عهده

ذكرنا في الجزء الماضي خلاصة تاريخ السلطان عبد الحميد ونريد الآن ان نذكر خلاصة تاريخ السلطنة العثمانية في عهده الى ان خلع موجزين الكلام ومقتصرين على الامور الرئيسية فنقول

لما ولي عرش الملك اقام في سراي طوله بنجته ثم لما نشبت الحرب الروسية العثمانية انتقل الى بلدز وهي اكمة تشرف على البسفور وبني فيها مباني كثيرة واحاطها بسور منيع وبني سوراً آخر حول البناء الذي يسكنه هو وحرمة واولاده سمكه ١٢ اقدماً وله ابواب مئينة من الحديد واستخدم الوفاً من الخدم والحشم تبلغ روايتهم ٣٢ الف جنيه في الشهر

وكانت السلطنة حينئذ تولى في حالة الافلاس والثورة . كانت خزينتها فارغة وديونها متراكمة وقد شق عصا الطاعة اهالي البوسنة والمهرسك والبلغار ونادت السرب والجبل الاسود بالحرب على الدولة فأخذت ثورة السرب بيد من حديد وارتكبت الفظائع في البلغار وصورت صور الناس وهم يمثل بهم ونشرت في اوربا فكان لها اسوأ وقع في النفوس . وقام غلادستون ونشر رسالته المشهورة في الفظائع البلغارية فاوجس السلطان خيفة واسند الوزارة الى مدحت باشا واستشاره في الامر فقال له لا ينبغي السلطنة من الدمار ويسكت اوربا الا الدستور فأعلن الدستور اول مرة في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٧٦ وانتخب النواب وابدوا من الحكمة ما جعل محبي البلاد العثمانية يرجون ان الحكومة الدستورية سترفعها الى اعلى ذرى المجد لكن الدستور لم يكن من مذهب السلطان فحل مجلس المبعوثان في ٥ فبراير سنة ١٨٧٧ واوقف العمل بالدستور وعزل مدحت باشا من الوزارة

وتفاقت الخطوب في البلقان وطلبت روسيا من دول اوربا ان يساعدنها على جعل الباب العالي يصلح الحال وعقد مؤتمر في الاستانة لهذه الغاية اقر على امور رفض السلطان العمل بها فاعلنت روسيا الحرب على تركيا في ٢٤ ابريل سنة ١٨٧٧ وكان السلطان يعتقد ان انكلترا تساعد على محاربة روسيا ولقد كانت الحكومة الانكليزية ميالة الى ذلك ولكنها لم تقدم عليه خوفاً من شعبيها لان رسالة غلادستون كانت قد اثرت فيه تأثيراً شديداً

واشتركت رومانيا مع روسيا وطلبت استقلالها ودارت رحى الحرب وكادت الجنود الروسية تبلغ الاستانة بعد معارك تشيب الولدان واعمال تخلد المجد للجنود العثمانية والعار على بعض الذين كانوا يدبرون حركاتهم من الاستانة . واخيراً طلبت تركيا الصلح وأمضيت معاهدة سان ستفانو بين روسيا وتركيا في ٣ مارس سنة ١٨٧٨ فاعتضت عليها انكلترا وطلبت عقد مؤتمر برلين

فأبدلت بمعاهدة برلين التي أمضيت في ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ وبموجبها استردت روسيا بسارايا
واخذت القارص وباطوم واردة هان واستقلت السرب ورومانيا والجبل الاسود وأعطيت البوسنة
والهرسك للنمسا لتحتلها وتدبر شؤونها وجعل جانب من البلغار اماره ذات استقلال اداري
واعطي جانب من تساليا لليونان . ويرجع بعض العارفين ان معاهدة برلين جاءت اشد وطأة
على تركيا من معاهدة سان ستفانو لانها افقدتها بلاداً مساحتها ١٣٨٠٠٠ ميل وعدد سكانها
١٢ مليوناً من النفوس ولم يبق لها من املاكها في اوربا الا ثلث ما كان لها ونصف ما كان
فيه من السكان

وابتدأت القلاقل في ارمينية سنة ١٨٨٣ لأن الارمن كانوا يحسبون ان انكلترا تنظر في
اصلاح حالهم حسب معاهدة برلين فلم تفعل وأخذت ثورتهم بالعنف . وثار اهالي كريت مما كان
يحل بهم من جور الحكام وثقل الضرائب فأخذت ثورتهم بالعنف ايضاً عوضاً عن النظر
في شكواهم . وثار الارمن سنة ١٨٨٨ وطلبوا استقلالهم فأخذت ثورتهم بالقتل والتخريب .
وبدت طلائع الثورة في اليمن سنة ١٨٩١ ووقع بسببها النفور بين الباب العالي وبين انكلترا
فصادق روسيا ولجأ بعض الارمن الى اوربا يستنصون الرأي العام فيها ويعددون عيوب الحكم
الحميدي فشد السلطان الوطأة على بلادهم واثار الاكراد عليهم فذبحوهم وخرّبوا قراهم وتمادوا
في الفطائع . وقامت الجرائد الانكليزية تحت دول اوربا على خلع السلطان فخاف وعزم على
الهرب من الاسثانة واستدعى وزراءه يستشيرهم في الامر وامر بالبحث عن الدين ان يكون
مستعداً ليضي به الى اودسا فاشار عليه احد وزرائه ان يستدعي سفير المانيا ويستشير
في الامر . ويقال انه ارسل اليه عزت العابد وكان لقبه عزت بك وبقي مدة غيابه يمشي في
الغرفة التي كان فيها ذهاباً واياباً قلق البال مشتت الافكار وقد وضع في جيوبه ومنطقته مقداراً
وافراً من الاوراق المالية واثمن ما عنده من الحلى . ثم عاد عزت بك من عند السفير وقال له
ان امبراطور الالماني يعضده ولا يدع احداً يعتدي عليه او يوقع به مكروهاً . فلما سمع هذا
الكلام ابرقت اسرته وتغيرت اطواره وحسبها منة لعزت عليه . ويقال انه اضطر ان يرشي
الجرائد الاوربية بمئتي الف جنيه لتغضي عن ذكر المذابح الارمنية وان يوزع على عباد الرتب
والنياشين ٦٤٠ نيشاناً

وعاد اهالي كريت الى الثورة سنة ١٨٩٦ وانصرت لهم اليونان في السنة التالية فدارت
الدائرة عليها . وقام بعض الفرنسيين يطالبون الدولة بثلاثة ملايين من الجنيهات عن انشاء
ارصفة سالانيك وشدت الحكومة الفرنسية ازهرهم واحتلت جزيرة متيلين (مدله) واستولت

على جماركها فاستعان السلطان بصديقه امبراطور المانيا فاشار وزير الخارجية الالمانية على سفير تركيا ان توفي الدولة ما يطلب منها . فاوفت جانباً من المطلوب ورهنت دخل الجمارك لايفاء الباقي . ولما استحق القسط الثاني سنة ١٩٠٥ ولم يوف ارسلت فرنسا اسطولها ثانية الى جزيرة ميثلين

وتعددت الثورات في مكدونيا وسلافيك ومنستير وادرنه سنة ١٩٠٣ من جور الحكام وقسوتهم وانتهى بهم للحرم فلا الاموال ولا الدماء ولا الاعراض كانت بمأمن لحظة واحدة حتى اضطر امبراطور النمسا وقصر روسيا ان يطلبوا تعيين وال خاص لمكدونيا تعينه تركيا ومعه مأموران احدهما تعينه النمسا والاخر تعينه روسيا يشاركان الوالي في ادارة شؤون البلاد وتنظيم الجندرمه بادارة قائد ايطالي وضباط ينتخبون من جنود الدول الاوربية . وحسب ان ذلك يذهب بما يقاسيه السكان من الظلم والتهم . وتردد السلطان في قبول هذا الطلب في اول الامر ثم قبل ان يجرب سنتين ثم طلب ان تطل هذه المدة قبل انقضاءها . لكن حال البلاد لم تصلح . ورأت روسيا والنمسا ان احوال تلك البلاد لا تستقيم ما دامت ماليتهما في يد تركيا لان جباة الاموال يهبون الفلاحين وبيتزون اموالهم بكل طريقة فيضطرونهم الى الثورة فطلبت دول اوربا ان تعين مراقباً اورياً لجمع الاموال الاميرية وان تلك الاموال تنفق في مصالح مكدونيا نفسها . ثم ان الوالي استخف بالمأمورين ولم يعمل برأيهما فاحتجت الدول على ذلك وعزمت ان ترسل اساطيلها فستولي على بعض الجمارك وتحتصر بعض المواني وابى امبراطور المانيا ان يشاركها في ذلك . ولما رأى السلطان ان الاساطيل الاوربية اجتمعت في بروس تحت امره الاميرال ربر النمساوي اسرع الى مذاكرة السفراء لكنه قال لهم انهم ان اجبروه على العمل برأيهم فهو غير مسؤول عما ينتج من ذلك من النتائج الوخيمة في كل الممالك العثمانية كانه يهددهم بدبح المسيحيين اما هم فلم يعاؤا بهذا التهديد واضطروه الى التسليم بطلبهم ولكن احوال مكدونيا لم تصلح وتفاقت الخطوب في السلطنة كلها وهو يسكت اوربا بما يعطي من الامتيازات للالمان فتحرك جشع محبي الكسب من سائر الاوربيين حتى يتمثلوا بالالمان فيستفيدوا مثلهم . فلم تكن نرى مقالة لغيور على نوع الانسان يظهر بها معائب الحكم الحميدي ويلوم الدول ذات الشأن لتغاضبها عنه حتى نرى مقالات كتاب كثيرين يلومون دولهم لانها لا تحاسب السلطان كما تحاسبه المانيا فتأخذ منه الامتيازات وتعود تجارتها الى الرواج في بلاده

ولما قام احرار العثمانيين يطلبون اصلاح حكومة بلادهم واضطروا ان يهاجروا منها لم يجدوا عضداً في اوربا كلها الا من رجال قلال حتى علمتهم المحن انه لا يحك جلد الانسان

الأخفره ولكن الامة المرهقة كالامة العثمانية التي اقيم بعضها جواسيس على البعض الآخر وعامتها لا علم ولا ارشاد وقد مزقتها الحزبات الجنسية والدينية لم يكن يرجى لها ان تنهض نهضة فعالة للمطالبة بحقوقها المهضومة ولو لم يتفق لبعض الضباط ان اجتمعوا على هذا الغرض الحميد وسعوا اليه بمهارة نادرة المثال ولولا جبن عبد الحميد وغيره رجاله من نجاح عزت باشا العابد — لولا ذلك كله لما أعلن الدستور ولا خلع عبد الحميد

واذا جمع تاريخ عبد الحميد من اول نشأته الى ان تحضره منيته وفصلت اعماله فيه كان عبرة من اكبر عبر الدهر

صادرات المالك ووارداتها

اوردنا في الجدول التالي قيمة صادرات المالك الكبيرة ووارداتها في السنتين الماضيتين وهي بملايين الجنيهات الانكليزية

الواردات	الصادرات	
١٩٠٨	١٩٠٧	١٩٠٨ ١٩٠٧
٥١٣	٥٥٤	٣٧٧ ٤٢٦
٤٠٩	٤٣٠	٣٣٢ ٣٣٧
٢٣٣	٢٩٦	٣٦٠ ٣٩٥
٢٤٤	٢٤٩	٢١١ ٢٢٤
١٠٥	١٠٤	٠٩٧ ١٠٢
٠٩١	٠٨٦	٠٩٧ ١٢٣
١٢١	١١٥	٠٧٤ ٠٧٨
٠٥٨	٠٧٥	٠٥١ ٠٤٩
٠٢٥	٠٢٧	٠٤٥ ٠٤٨
٠٦٣	٠٦٧	٠٤١ ٠٤٦
٠٤٤	٠٥٠	٠٣٨ ٠٤٤
٠٣٨	٠٣٨	٠٣٦ ٠٣٧
٠٢٦	٠٢٧	٠٢٢ ٠٢٩

بريطانيا العظمى

المانيا

الولايات المتحدة

فرنسا

النمسا والمجر

الهند الانكليزية

ايطاليا

كندا

جنوبي افريقية البريطانية

سويسرا

اليابان

اسبانيا

مصر

اما البلاد العثمانية فليس لدينا احصاء مدقق عن قيمة صادراتها ووارداتها في السنتين الماضيتين ولكن يظهر من احصاء السنين التي قبلها ان قيمة الصادرات نحو ٢٠ مليون جنيه وقيمة الواردات نحو ٣٠ مليون جنيه

وليس لقيمة الصادر والوارد من البلاد دلالة قاطعة على درجتها من الغنى والفقر والتقدم والتأخر والارتفاع والانحطاط لانها قد تكون مختلفة الاقاليم كثيرة المعامل فيها من كل الحاصلات والمصنوعات فتستغني عن غيرها من البلدان فاذا لم تستورد شيئاً فقد لا تصدر شيئاً ايضاً. مثال ذلك الولايات المتحدة الاميركية فان اكثر وارداتها في السنة الماضية كان من السكر والجلود والاصباغ والبن والحرير والقطن والستك والصوف والنحاس والحديد والقصدير والتبغ والاثار والفرو والشاي والخزف والورق والزيت والسمك. فاذا اهتمت بزرع قصب السكر مثلاً والبنجر والبن والثوت وربت دود الحرير واصطنعت الاصباغ صار فيها ما يكفيها من هذه المواد وقس عليها غيرها مما يمكن الاستغناء عنه فتقل قيمة وارداتها كثيراً ولا يكون ذلك دليلاً على فقرها ولا على غناها. ومن هذا القبيل ان اكثر واردات فرنسا في العام الماضي كان من الصوف والقطن والفحم الحجري والحرير والحبوب وبزور الزيت والجلود والبن. واقلها لا يصلح لزراعة القطن والبن وليس فيها مراع واسعة حتى تسترخص تربية الغنم فيها لاجل صوفها وجلودها والفحم الحجري غير كثير فيها ولذلك تضطر ان تجلب هذه المواد من غيرها فكثر وارداتها ليست دليلاً على غناها

وقس على ذلك انكثرتا فان اكثر وارداتها من القطن والصوف والجلود وكلها مما لا غنى لها عنه لصناعاتها ومقطوعتها

وكذلك القطر المصري فان اكثر وارداته من المنسوجات القطنية والحريرية والصوفية والخشب والفحم والمعادن وكلها مما لا غنى له عنه

اما البلاد العثمانية فيمكنها ان تستغني عن اكثر وارداتها كالرز والسكر والدقيق والبن والخشب والجلد والمنسوجات على انواعها لان فيها كل الاقاليم الحارة والمعتدلة والباردة وتوجد فيها كل المزروعات وفيها حراج واسعة كثيرة الاشجار ومعادن ثمينة كالحديد والنحاس والرصاص وقوات مائية لانشاء المعامل

واذا استطاعت بلاد ان تستغني عن غيرها بشيء من الاشياء فقد لا يكون من الحكمة ولا من الاقتصاد ان تستغني به بل الحكمة والاقتصاد يقتضيان ان تطلب ما هو اوفر ربحاً لها. فاذا كان القطن يوجد في بلاد ولا يوجد فيها الرز يكون من الحكمة ان يكتفي اهلها

يزرع القطن فيها ويشتروا رزهم من الخارج ومن الخرق في الرأي ان يطلوا زرع القطن في بعض ارضهم ويزرعوها رزاً والقطن اربح لم • وشأن البلدان في ذلك شأن الناس في اعمالهم فكل رجل يستطيع ان يطحن قمحه وينخله ويجنه ويخبزه ويستطيع ان يطبخ طعامه بيده ويخيط ثوبه ويخصف نعله اذا قصد واراد ان يوفر اجرة الحجاز والطباخ والخياط والسكاف ولكنه اذا كان تاجراً او قاضياً او طبيباً او محامياً فيكون احمق الحق اذا قضى وقته في خبز خبزه ويطبخ طعامه وخياطة ثيابه واهمل عملاً اربح له بما لا يقدر

وكما اقتضت الحكمة تقسيم الاعمال بين الناس اقتضت تقسيم الزراعات والصناعات حسب الاقاليم والاستعداد الطبيعي فزرع القطن الذي يصلح له اقليم القطر المصري وتصلح له تربته لا يصلح له اقليم بلاد الانكليز ولا تربتها ولذلك لا يحاول الانكليز زرع القطن في بلادهم

وغزل القطن ونسيجه اللذان يصلح لهما هواء جانب من بلاد الانكليز لا يصلح لهما هواء القطر المصري • وقد انشأت شركة معملًا لغزل القطن ونسيجه في القاهرة فكانت النتيجة وبالأعلى عليها وعلى الذين اشتروا امههما فان الكهربائية المتولدة من جفاف الهواء وحركة الآلات كانت تعبت بالتطن وتطيره بين ايدي العمال • وليس من الحال ان يغزل القطن وينسج في القطر المصري كما انه ليس من الحال ان يزرع القطن في بلاد الانكليز ولو ضمن بيوت من الزجاج ولكن الذي يهيم امره هو هل الاربح للانكليزان يزرعوا القطن في انكلترا ولو في بيوت من الزجاج او الاربح لهم ان يشتروه من مصر واميركا • وكذلك هل الاربح لنا ان ننسج القطن في القطر المصري او ان نشتره منسوجاً من انكلترا والجواب على ذلك واضح من افلاس الشركة التي اشتغلت بغزل القطن ونسيجه

ولكن اذا كان لا بد لبلاد من ان تستورد شيئاً من حاجياتها او كلياتها من الخارج فلا بد لها من دفع ثمنه اما نقداً او بضاعة ولا بد لها في الحالين من ان تصدر شيئاً من حاصلاتها او مصنوعات لتوفي بثمنه ما تجلبه من الخارج وكذا اذا كانت مديونة لغير اهلها فانها تضطر ان تصدر شيئاً من حاصلاتها او مصنوعات لتوفي بثمنه ربا ما عليها من الدين وفي هاتين الحالتين يظهر لزوم الصادرات • واذا لم تكن البلاد مضطرة ان تدفع ثمن بضاعة ولا ربا دين فثمن الصادر منها ذهب يضاف الى ثروتها ويزيدها قوة ومنعة

الانسانية المتضامنة

نشرنا للدكتور شمیل مقالة ملؤها علم وحكمة ونصح وتحذير مثل كل ما يكتبه . وهي المقالة التي موضوعها ' عبد الحميد في نظر الطب ، المدرجة في الجزء الاخير من المقتطف . وقد ختمها بقوله « اما المسؤولية الحقيقية (عما حلّ بالبلاد العثمانية في زمن عبد الحميد) فعلى الدول الراقية المسؤولية وحدها لدى الانسانية المتضامنة » فاذكرنا قوله هذا كلام النابغة الديباني الذي قال

اتوعد عبداً لم يخنك امانةً وتترك عبداً ظالماً وهو ضالعٌ
حملت عليّ ذنبه وتركته كذي العرّ يكوى غيره وهو راتعٌ

وكأن الدكتور شمیل نظر الى البشر كما سيصرون في الالف السنة المنتظرة فحاشهم الآن بما سيصرون اليه بعد ازمان طوال ونسي انهم في حالم الحاضرة ليوث غاب متواثبة وما تجدي عليك ليوث غاب بنصرتها اذا دنّاك ذيبٌ

والشكوى الى دول اوربا ومنها شكوى الجريح الى الغربان والرخم

ثم هل اصاب الدكتور شمیل في شكواه من دول اوربا وفي تحميلها تبعة ما حلّ بالبلاد العثمانية من سلطانها . هل بلغ الناس في هذا العصر مبلغ « الانسانية المتضامنة » الذي يشير اليه . لا واييك لا الدول متضامنة ولا العيال متضامنة ولا الاخوة متضامنون ولا يكاد المرء يأتمن اخاه

وفارق عمرو بن الزبير شقيقه وخلى امير المؤمنين عقيلٌ

وكأنّا بالدكتور شمیل ابا فراس

يبغي الوفاء بدهر لا وفاء به كأنه جاهل بالدهر والناس

وقد نسي ان اكثر الناس على مذهب جرير حيث قال

فانت ابني ما لم تكن لي حاجة فان عرضت ايقنت ان لا اباليا

وقد اتعظوا يقول الرضي الموسوي القائل

لا تدنين مؤار بين دعوتهم يوم الطعان فسوفوك الى الغد

قذفوك في غمائها وتباعدا عنها وقالوا قم لنفسك واقعد

قطع الزمان قبال نعلك فانتعل اخرى ثقيك من العثار وجدد

والمنصف يرى ان دول اوربا التي يعدّها الدكتور شميل مسؤولة قد وازرت الدولة العلية ودافعت عنها اكثر مما ينتظر منها . نعم انها خدمت بذلك مصلحتها ايضاً ومن لنا بمن يخدمنا ويخدم مصلحته دوماً . وهل يحق لنا ان نطلب من احد معونة تضر بمصلحته وان فعل فيكون جانياً على نفسه . وكيف نستسهل تعرض دولة لدولة عفواً ونحن نرى الواحد منا جاره يعتدي على قريبه فلا يستطيع ان ينتهره . وهل كنا نرضى ان نرى دول اوربا تتفق على خلع عبد الحميد قوة واقتداراً وترسل جنودها فتحمل الاسلحة كما احملت بكين عاصمة الصين . وما ادرانا ان ذلك كان يتم من غير ثورة تعم البلاد العثمانية كلها وحرب اهلية تسفك فيها دماء الالوف والملايين

انا لا نبرىء الدول من السعي وراء مصالح رعاياها ولكن من يلومها على ذلك مادامت هذه الدنيا دار جهاد وعراك وقبل ان نبلغ عصر التضامن الانساني الشامل الذي يشير اليه الدكتور شميل . اما اللوم كل اللوم فعلى العثمانيين انفسهم الذين كانوا يرون الخلل في الحكم الحميدي ويصبرون على الضيم صبر الاذلين . الجنابة الكبرى على عبد الحميد وعلى الذين شاركوه في سوء احكامه واللوم الاكبر على الذين رأوا الخلل وانغمضوا عيونهم عنه . وليس من المروءة تمسحاً بالدول الاوربية التي اضاعت اموالها ورجلها لتدفع عنا طمع الروس ولو كان في ذلك المصلحة الكبرى لها

واننا نخشى ان يتذرّع كتابنا بعبارة الدكتور شميل في تبرئة حكمانا من المذايح والمنكرات والقاء اللوم فيها على عائق الدول الاوربية فيضحك المستبدون منا في كمهم ونبقى حيث نحن وكلامنا هذا لا ينفي التضامن الانساني متى جاء وقته وصارت ممالك الارض مملكة واحدة او ولايات يديرها مجلس واحد يحكم بينها بالعدل والانصاف ويعرف كل احد ما له وما عليه فلا يعتدي على غيره . احلام قد يحققها ابناء ابنا ابنا بعد احقاب كثيرة اما نحن فنموت ولا نرى غير هذا التباري والتكالب

وفي نظر الصادي الى الماء حسرة اذا كان ممنوعاً سبيل الموارد

والدتي

من الصدع في قلبي غداة تهدأ
رأيتك نوراً في علاها كأنه
عليه ابتسام الأم في وجه طفلها
فلو ترسل الأرواح في الجوّ نورها
سمت نظرات الروح خلفك للسما
شعاع لمصباح الجنان قد انثى
ولألاء الحظين لما توسما
عرفتك بالنور الذي قد تبسما

أنا منك بين العالمين كأنني
أراها خلاء منك الآ محامداً
وقبراً أرى تلك المقابر كعبةً
أمر عليها خاشعاً مثلياً
وألثمُ ترباً حين مسته أدمي
بذا الدمع من هذا الفؤاد محبة
فلو اذن الله التراب عدا بها
أشكك في الدنيا فما هي منها
وأثار فضل حية وترحما
وذاك بها الركن الكريم المعظما
وأحنو عليه خاضعاً متسماً
بروح البكا صلى عليك وسماً
أذاعت به سر الحياة المكتما
فؤاداً وصارت ذي الدموع به دما

ولما استباح موطن الصبر لوعي
وقفت فكانت وقفة العمر في الردى
وبين ضلوعي زفرتان من الأسى
كأنهما خيطان بالقلب علقا
وارعد وهناً كالجنح تهزّه
وخيل لي ان الفضاء يدور بي
وقارع سيف الخزم حتى ثلما
على نفس ألقى به وتصرّما
نثيها في صدري فما بلغا الفما
فان صعدا يصعد وان هبطا ارتما
حمامة في عطفها مذ تحطما
وأن طريقي مدّ في الجوّ سلما

فيا لهفتا كم عبرة قد ترددت
تنفس في قلبي فتلهبه أسى
بكيت فألفيت البكاء كأنه
وأوريت زند الدهر قدحاً فلم نزل
وكادت ترى عينا في سحب ادمني
بصدري ولو كانت بطود تالما
وتذكيه اشجاناً وتحرقه ظما
حقيقة موت تستحيل توهما
صواعقه حتى استنيرت وأظلما
متى ارتجفت برقاً من النار مضرما

فيا دمع ايام الحداثة ليتني
وكنت ندى فجرى فمن لي بالندى
بكاء بكيناه وصرنا لضحكنا
حفظتك للبؤسى لقد كنت أنعمًا
اذا الجو من شمس الحياة تحدما
فأرجعنا نبكي عليه تندما

..

جزعت ولولا أن مثلك في النسا
وكنت أقول الارض صارت مآتما
وما تسع الدار التي صار أهلها
ولو كان فيها للنفوس حقيقة
قليل لعابت الزمان المذمما
عليك لو أن الارض تصلح مآتما
« بطرفة عين » يبلغون الى السما
لما كان يبقى ذلك الموت مبهما

وأبغضت فيك الليل من أجل كوكب
وغاضبت فيك الروض من أجل طائر
ولو أن هذا الحزن علم لبثه
فيا من لأمر لا يرد إذا مضى
أذلت له دمي الأبي وان يكن
ولو بذلوا لي كل بحر بدمعة
ولكنني أبكيك بالأعين التي
ومن كان مولوداً بأمين فليلم
على ظلمات الحزن فيه تبسمًا
على أدمع الأنداء فيه ترنما
فوادي في الدنيا لكي نثعلما
ولا عوض منه وان كان أعظما
أعز من الدنيا علي وأكرما
على الارض عدت همتي الدمع مآتما
رأت طلعة الدنيا ابسأمك والفما
على جزعي وليرمي كيفما رمى
مصطفى صادق الرافعي

باب الزراعة

الاطيان والمزروعات

بلغت مساحة الاطيان التي كانت مزروعة في القطر المصري في العام الماضي ٥٣٢٦٥١٢
قداناً منها في الوجه البحري ٣١٧٤٦٢٧ وفي الوجه القبلي ٢١٥١٨٨٥ ومساحة الاراضي التي
تزرع حتى الآن ١١٢١٣٤١ منها في الوجه البحري ٩٣٨٣٢٠ وفي الوجه القبلي ١٨٣٠٢١
فداناً . ومساحة الاطيان التي زرعت أكثر من مرة في السنة ٢٢٧١٣٤٧ . ومنها في الوجه

البحري ١٥٥٤٣٤٤ وفي الوجه القبلي ٧١٧٠٠٣ فكأن اهالي القطر زرعوا في السنة الماضية ٧٥٩٧٨٥٩ فداناً لان اكثر من مليوني فدان وربع مليون من اطيانهم زرعت مرتين وهذا تفصيل المزروعات التي زرعت في العام الماضي (سنة ١٩٠٧-١٩٠٨) في الوجه البحري والوجه القبلي ومساحة الاطيان التي زرعت فيهما

الوجه البحري	الوجه القبلي	المجموع	
١٢٩٨٩٠١	٣٤١٥١٤	١٦٤٠٤١٥	القطن
١١٦٩٠٥٩	٦٢٠٦٤٦	١٧٩٩٧٠٥	الذرة
٠٢٢٩٤٨٢	٠١٩٢٨١	٠٢٤٨٧٦٣	الرز
٠٦٣٨٧٧٩	٥٢٩٣٨٧	١١٦٨١٦٦	القمح
٠١١٢٨٢٧	٤٢٨٢٥٨	٠٥٤١٠٨٥	الفول
٠٢٤٦٨٤٥	١٩٣٧٦١	٠٤٤٠٦٠٦	الشعير
٣٤٨٩	٠٣٥٠٧٣	٠٠٣٨٥٦٣	قصب السكر
١٠١٩٠٩٢	٦٧٦٩٥١	١٦٩٣٠٤٣	البرسيم ونحوه
١٣٤٩٧	٠١٤٠١٧	٠٠٢٧٥١٤	الجنائن والخضر
٤٧٢٨٩٧١	٢٨٦٨٨٨٨	٧٥٩٧٨٥٩	المجموع

الاطيان والملاك

بلغ عدد الذين يمتلكون الاطيان في القطر المصري ١٣١٠٠٨٨ مالكا الوطنيون منهم ١٣٠٣٩٨٣ مالكا وهم يمتلكون ٤٧٦٢٠١٧ فداناً فمتوسط ما يمتلكه الواحد منهما ٣ فدان و١٥ قيراطاً و١٥ سهماً والاجانب منهم ٦١٠٥ وهم يمتلكون ٧١٠٨٩٨ فداناً فمتوسط ما يمتلكه الواحد منهم ١١٦ فداناً و١٠ قراريط و١٦ سهماً
 ورب قائل يقول ان عدد الوطنيين نحو ١١ مليوناً فكيف لا يمتلك الاطيان منهم الا ٣٠٠ الف نفس والجواب ان المالك يحسب واحداً ولو كان له زوجة وخمسة اولاد من الصبيان والبنات فكأن الذين يمتلكون الاطيان مقسمون الى مليون وثلاثة الف بيت ومتوسط ما للبيت منهم نحو اربعة افدنة والاجانب الذي يمتلكون الاطيان مقسمون الى ستة آلاف بيت ولكل بيت منها نحو ١١٦ فداناً ولا غرابة في ذلك لان اكثر صغار المالكين من الوطنيين واكثر الاجانب من كبار المالكين فالوطنيون الذين يمتلك الواحد منهم اقل من

خمسة افدنة يبلغ عددهم ١١٦١٠٨٠ اي اكثر من ثمانية اعشار المالكين الوطنيين كلهم واما الاجانب الذين يمتلك الواحد منهم اقل من خمسة افدنة فعددهم ٥٧٦٥ فقط او نحو ٤٥ في المئة . والوطنيون الذين يمتلك الواحد منهم اكثر من خمسين فدانا عددهم ١٠٩٣١ فقط او اقل من واحد في المئة من عدد الملاك الوطنيين . واما الاجانب الذين يمتلك الواحد منهم اكثر من خمسين فدانا فعددهم ١٦٠٠ او اكثر من ٢٥ في المئة من عدد الملاك الاجانب والاجانب على قلة عددهم في هذا القطر يمتلكون ١٣ في المئة من اطيانه ويدفعون ١٣ في المئة من ضرائب الاطيان واذا زيدت عليها الضريبة لاجل التعليم لحقهم من الريادة ١٣ في المئة او نحو ٣٣ الف جنيه في السنة . ولا يكثر عليهم ذلك لانهم ممتازون في امور كثيرة

الضرائب والسكان

بلغت ايرادات الحكومة المصرية في العام الماضي ١٥٥٢١٧٧٥ جنياً بعضها من الضرائب المقررة اي التي قيمتها محددة لا تزيد ولا تنقص وهي اموال الاطيان و اموال النخيل وعوائد البيوت ومجموع ذلك كله ٥٢٨٧٥٦٢ وبعضها من الضرائب غير المقررة اي التي قيمتها غير محددة تزيد وتنقص كايراد التجار وعوائد المواشي والفنارات ومصائد الاسماك والتمغة ورسوم المحاكم ومجموع ذلك كله ٥٤٦٨٥٧٥ . واما ما بقي مثل دخل سكك الحديد والمصالح ذات الايراد فهو ليس من قبيل الضرائب بل من قبيل اجور الاعمال . واذا قابلنا بين عدد سكان القطر في كل سنة من سنة ١٨٨٠ الى الآن سواء كان ذلك معروفاً بالتعداد او بالحساب وبين ما دفعوه من الاموال المقررة وغير المقررة في كل سنة من هذه السنين وجدنا ان ما كان يدفعه النفس منهم اولاً بلغ ١١٢ غرشاً سنة ١٨٨٠ ثم نقص رويداً رويداً حتى بلغ نحو ٨٦ غرشاً سنة ١٨٩٨ وزاد بعد ذلك قليلاً فبلغ في العام الماضي نحو ٩٤ غرشاً . فابن القطر المصري مرحوم اكثر من كل احد سواء من هذا القبيل ولولا الديون التي تراكت عليه في السنوات الاخيرة باسرافه وخداع المرابين له لكان مرحوماً اكثر من كل الناس . ولكن قلة دخله من جهة وكثرة ديونه وعلو فائديتها من جهة اخرى لا تبق له الا قليلاً من دخله

مساحة القطن في القطر المصري

رأت الحكومة المصرية ان تحصى مساحة الاطيان المزروعة قطناً في القطر المصري فاعتمدت على خرائط المساحة وهي تشمل اكثر القطر . والاطيان مرسومة قطعاً في كل خريطة

منها ولكل قطعة عدد يدل عليها وتوجد مساحتها تجاه ذلك العدد في دفتر المساحة . فوزعت الخرائط على رجال المساحة فجالوا في البلاد ووضعوا علامة على كل قطعة مزروعة قطناً وإذا اتفق انهم وجدوا قطعة والقطن مزرع في بعضها لا فيها كلها اشاروا الى ذلك وقدروا المساحة المزروعة نقديراً وذكروا ايضاً نوع القطن المزروع في القطع . وإذا وجدوا القطن مزروعاً في جانب من قطعة كبيرة وتعذر عليهم تقديرها مستحوه مساحة فعلية لمعرفة مقداره بالتدقيق . وشرع هؤلاء الرجال في عملهم في ١٥ ابريل واثموه في ٢٦ مايو وكانوا كلما اتموا بلداً ارسلوا خرائطها الى مصلحة المساحة فجمعت مساحات الاطيان المزروعة قطناً ونشرتها في ١٧ يونيو وقالت انها صحيحة بوجه الاجمال ولكنها ستزيد التدقيق فيها وتزيدها بياناً وتنشرها في غضون الشهرين التاليين وهذا هو الجدول الذي نشرته الآن

المديرية	مساحتها كلها	ارض مزروعة قطناً	بنوفتش	عباسي	ميت عفيفي	اشموني	نوباري	مختلف
الغربية	١٥٦٢٢٢٠	٢٩٦٦٨٠	٩٧٩٧٠	٧٤٢٠	٢٦٤٦٧٠	٩٧٠	١٩٩٠٠	٥٧٥٠
الدقهلية	٠٦٢٧٢٢٠	٢٢٨٥١٠	٧٧٢٩٠	٩٦٠	١٥٦٧٥٠	١٠	٩١٠	٢٤٩٠
البحيرة	١٠٨٧٠٠	١٩٦٩٦٠	٢٢٢٠	٢٤٤٠	١٨٥٢٩٠	٢٢٠	٢٢٦٠	١٢١٠
الشرقية	٠٨١٨٠٢٠	١١٩٥٥٠	٦٩٠	٢٥٤٠	١٨٢٨٩٠	٢٢٠	٢١٤٠	٩٦٠
المنوفية	٠٢٧٤٢٢٠	١٢٧٢٧٠	١٧١٠	٢١٢٠	٩٨٤٨٠	١٢	٢٢٩٨٠	٨٥٠
المنيا	٠٤٦٢٥٨٠	٩٨٩١٠		٢٠	١٩٠	٩٨٦٨٠		
القليوبية	٠٢٢٠٦٢١	٥٩١٦٠	١	٢٠	٥٦٥	٩٢٠	١٦٩٠	٢٠
بني سويف	٠٢٠٢٤٤٥	٥٨٨٠٠	٥	٢٢٠	٧٠	٥٨٥٥٠		
الفيوم	٠٤١٢٩٨٠	٥٩٤٧٠			٢٧٤٠	٥٤٧٢٠		
اسيوط	٠٤٧٢٨٦٠	٢٤١٩٠	١٦٠		١٠	٢٤٠٢		
الجيزة	٠٢٤٤٨٨٤	١٧١٨٠	١١٠	١٠	١٢٠٧	٤٩٩	١	٢
قنا	٠٤٦١٢٨٠	١١٨٠	٢٠٠	١٥٠	٥٠	٤٢٠		٢٦٠
جرجا	٠٢٥٥٠٨٠	٤٥٠			٢٠	٢٧٠		٦٠
اصوان	٠١٠٤٠٠٠	٢٢٠	٤٠	١٠		١٧٠		
المجموع	٧٢٩٨٥٨٠	١٤٦٦٥٢٠	١٨١٦٠٦	١٧٩٥٠	٩٦٠٧٨٠	٢٤٤٥١٠	٤٩٨٨١	١١٨٠٢

وقد كانت مساحة الاطيان المزروعة قطناً في العام الماضي ١٦٣٨٠٤٠ واصنافه هكذا بنوفتش ٢٣٧١٤٤ فداناً . عباسي ٥٩٩٢٥٠ ميت عفيف ٩٨١٣٠٦ . اشموني ٣٢٠١٦٩ . نوباري وسائر الاصناف الاخرى ٣٩٤٩٦

فالفرق كبير بين مساحة الاطيان المزروعة قطعاً هذا العام ومساحة ما زرع قطعاً في العام الماضي ولا يظهر سببه الا اذا فرضنا الخطأ في تقدير المساحة في العام الماضي . واذا صحَّ ذلك وقع الشك في ما يقال من ان محصول الفدان آخذ في القلة ويظهر من هذا الجدول ان اهالي اسيوط والمديريات الوسطى لا يزالون يعتمدون على القطن الاشموني مع ان بعضهم قد جرَّب العففي والعباسي . وجبذا لو بحثت الجمعية الزراعية او مصلحة المساحة عن مزية القطن الاشموني في هذه المديريات وعن مزية العففي والعباسي فيها واذا عت ذلك حتى اذا كان العففي والعباسي يجود فيها كما يجود الاشموني عدل عنه اليهما ثم ان مساحة الاطيان التي تزرع في مديريات الوجه البحري الست هو ٣١٧٤٦٢٧ وواضح من هذا الجدول ان الاطيان المزروعة قطعاً الآن منها تبلغ ١٢٠٨١٣٠ فداناً او نحو ٣٨ في المئة من الاطيان الزراعية وهذا لا يزيد عن الثلث الا قليلاً . لكن القطن لا يزرع في الاطيان الضعيفة والمرجح اننا اذا حصرناه في الاطيان التي يزرع فيها فقط وجدنا انه يزرع في اكثر من اربعين في المئة منها

وفي الجدول المتقدم ان مساحة المديريات كلها اكثر من سبعة ملايين فدان وبديهي ان هذا ليس مساحة الاطيان التي تزرع الآن لان مساحتها ثقل عن ذلك اكثر من مليوني فدان ولكنه يشملها ويشمل الاراضي التي يمكن ان تزرع لو اصححت وما لا يمكن زرعها من الترع والمصارف والجسور والبراري والرمال وما اشبه

القطن الاميركاني

جاء في احصاء ديوان الزراعة باميركا ان مساحة الارض المزروعة قطعاً هناك هذا العام تبلغ ٣١٩١٧٠٠٠ فدان اي اقل من ٣٢ مليون فدان وقد كانت في العام الماضي اكثر من ٣٣ مليون فدان وهالك مقدار مساحتها ومقدار محصولها في الاعوام الثلاثة الماضية

١٩٠٦ ١٩٠٧ ١٩٠٨ ١٩٠٩

المساحة ٣٢٠٤٩٠٠٠ ٣٢٠٦٠٠٠٠ ٣٣٣٧٠٠٠٠ ٣١٩١٨٠٠٠

المحصول بالبالات ١٣٥١١٠٠٠ ١١٥٧٢٠٠٠ ١٣٥٠٠٠٠٠

والظاهر من الاخبار الواردة عن زراعة هذا العام انها جيدة في بعض الولايات وغير جيدة في غيرها فهي معتدلة . ويظهر من ارتفاع الاسعار المستمر حتى كتابة هذه السطور في ٢٩ يونيو انه يخشى ان يكون المحصول اقرب الى محصول سنة ١٩٠٧ منه الى محصول سنة

١٩٠٨ واذا تحقق ذلك وجاء المحصول مثل محصول سنة ١٩٠٧ او اقل فهو ارجح للاميركيين من المحصول الكبير ويستفيد القطر المصري من ذلك فائدة مالية تخرجه من العسر المالي الذي هو فيه

النيل

بلغ ارتفاع البحر الازرق في آخر مايو مبلغاً عظيماً جداً يحشى معه من الغرق لو استمر ولكنه لم يستمر بل عاد الى الاعندال ومع ذلك لا يزال ماء النيل غزيراً هذه السنة . وقد مرت ايام التماريق والناس لا يشكون من قلة المياه كما كانوا يشكون في السنوات الماضية . واذنت الحكومة بري الشراقي في اول شهر يوليو . والراسخ في الازهان انه اذا زرعت الذرة باكرآ في اول يوليو جاءت غلتها وافرة جداً وامكن اعداد الارض بعدها لزراع القطن او غيره مما يزرع بعدها فتجود المزروعات كلها . ولذلك ينتظر ان تكون الزراعة في العام المقبل اجود منها في هذا العام

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(١٩) الحيوانات التي يربئها المزارعون

في الصعيد يستخدم المزارعون الثيران لجميع الاعمال الزراعية وذلك لان شدة الحر تحول دون استخدام الجواميس لهذه الغاية وفي جزيرة اصوان يربون الثيران على سوق الدرة الخضراء والتبن . وفي الجهات الشمالية بين هذه الجزيرة واسنا تبدي زراعة الجلبان والحمص والعدس والترمس فيطعمون سوقها للثيران . وفي تلك الجهات لا يزيد ثمن زوج الثيران او البقر عن ١٩٠ فرنكاً وقد يهبط الى ١٤٥ فرنكاً . ويأخذ الثمن في الازدياد كلما تقدمنا شمالاً حتى يبلغ ٣٢٠ فرنكاً . ونقدر نفقة الثور والبقرة في اواسط الصعيد بغرش ونصف يومياً . وثن العجل الذي عمره ثلاثة اشهر بين ١٥ و ٣٠ فرنكاً في الصعيد . وتزيد هذه الاثمان قدر خمسها في الوجه البحري وكما ذكرنا آنفاً لا يقتنون الجواميس في الصعيد للحرارة بل للانتفاع بالبانها فيسرحونها في الارض الشراقي ترعى الحلفاء فتقل بذلك نفقتها . وثن الجاموس في جوارقنا بين ٦٠ و ٩٠ فرنكاً وفي الفيوم يستخدمون الجاموس لادارة السواقي . وفي الوجه البحري يستخدمونه للحرارة

ايضاً . وبيع لحمه في مجازر المدن ومتوسط ثمن جلده ثمانية فرنكات
اما الجمل فيريه العرب القاطنون على ضفتي النيل ومنهم يشتريه الاهالي في جميع الجهات
بأثمان تتراوح بين ٩٠ و ١٨٠ فرنكاً تبعاً لسنه وقوته . وتقدر نفقته يومياً بنحو قرش أميري
ويؤجر بنحو اربعة غروش يومياً ويبقى قادراً على الشغل عشر سنوات . ويعتنى في الصعيد
بتربية الغنم والمعزى وفيه عدد يوازي نحو نصف عدد الافدنة المزروعة . ويلفونها البرسيم
اليابس والاخضر وسوق الذرة والفول وتسرح في المراعي فتقدر نفقة العنز في اليوم نحو ربع
غرش وبيع العنز الجيد بخمسة فرنكات

وغنم الصعيد ذات صوف اسمر اللون . ويجزونها في اواخر مايو او اوائل يونيو فتزن
جزءة الخروف الواحد من رطلين الى ٤ ارطال . وبيع الرطل من الصوف بستعة غروش الى
١٢ غرشاً والمغسول النقي بستة غروش الى سبعة ونصف وأجود الغنم في الفيوم حيث يعتنون
بتربيتها ويجزونها دفعتين في السنة . وثن الخروف المتوسط نحو ثمانية فرنكات . وفي
الاماكن التي يزرعون فيها النى فدان يربون نحو ثمانى مئة خروف ويتمشى هذا المعدل على
معظم انحاء الصعيد

هذه تقريباً جميع الحيوانات التي يعتنى الفلاحون بتربيتها فيرى انهم لا يستخدمون إلا
الحيوانات التي ينتفعون اما بشغلها في الزراعة واما بألبانها وشعرها وصوفها فيسدون بذلك
عوزهم . اما الخيل فلا يقتنونها إلا للركب والمباهاة

وبما ان الفوز في القتال بين اهالي بلدةٍ واخرى يكون غالباً في جانب الفئة التي يمكنها
ان تجهز فرساناً أكثر من الاخرى اعناد الناس تقدير قوة الرجل بقدر ما يملكه من الخيل
وفي جميع الجهات تناط رياضة الخيل بالعربان المشتغلين بالزراعة او بالقبائل الرحل . وعلى
تربية الخيل يتوقف جانب ليس بقليل من دخلهم . وبيع الحصان العادي بثن بين ١٣٠
و ١٩٠ فرنكاً

ويري الفلاحون فضلاً عما ذكرناه الحمام والدجاج وغير ذلك من الطيور الاليفة . ولم
عناية خاصة بتربية النحل في غالب انحاء البلاد . فيضعون خلاياها تارة في البساتين او الحقول
وتارة بجانب البيوت . ويجنون العسل مرة في السنة بتدخين الخلايا بدخان زبل البقر او
بعر الابل الى ان يخرج منها النحل فينزعون ثلثي اقراص العسل من كل خلية ويتركون الثلث
الباقى مؤونة للنحل . فيجئون من الخلية خمسة ارطال عسلاً وخمس رطل شمعاً . وبيع قطار
العسل في اسيوط بثن بين ٦ و ٢٦ فرنكاً ورطل الشمع بستة غروش وخشرم النحل بستعة غروش

(٢٠) جباية الاموال الاميرية

ما فتئت مصر منذ عهد بعيد محطاً لرجال الفاتحين من فرس و يونانيين و رومانيين و عرب الى ان احلها الممالك . فكانت في جميع هذه الادوار ملكاً للدولة الفاتحة تنصرف باراضها كيف شاءت و تضرب عليها الضرائب بلا قيد او نظام ثابت يرجع اليه حتى لقد كان بعض الاهالي يعدون انفسهم مالكيين و يدفعون الضرائب على ما يملكونه و هم في الحقيقة ليسوا الا و اضعي يد يمتعون بأموالهم مازالت الاحوال تقضي ياغضاء الفاتحين عنهم

وفي عهد الممالك كان أمر الخراج و المساحة منوطاً بالاقباط يثصفون فيه تصرف العارف الخبير و يستعملون في حساباتهم ارقاماً سرية يحبون بها فن الحساب عما سواهم فكان لا غنى عنهم في جباية الاموال و مساحة الارض فاقروهم الممالك في سابق وظائفهم و صاروا يعتمدون عليهم في جميع المسائل المالية فاستأثروا بجباية الاموال في جميع انحاء القطر المصري و كان عدد الموظفين منهم لهذه الغاية يربو على الثلاثين الف نفس

و كان لكل بك من ذوي الاملاك كاتب من الاقباط يستصحبه في اوقات تفقد القرى التي يمتلكها . و كان عند كل كاشف في المديرية كاتب منهم و كتبة صغار و جميعهم من الاقباط فيجبي صغار الكتبة الاموال من الفلاحين و يدفعونها الى رئيسهم الذي ينقدها لكاتب سر البك فيدفعها هذا الى البك و يأخذ منه صكاً بها

و نظراً لجهل الفلاحين بأحوال المساحة و مقدار ما عليهم دفعه من الاموال كانت المشايخ توزع عليهم ما يقدره هؤلاء الكتبة تبعاً لنظام كانوا يحرضون على كتمانهم ليبقى في ايديهم امر الحل و العقد فيه . و لا تسلم عما كان يحصل من التلاعب في تقدير المساحة و الضرائب حتى لقد كانوا يزيدون او ينقصون فيه حسبما توحى اليهم ضمائرهم . و لا أبالغ اذا قلت انهم كانوا ينقصون انفسهم بثلاث ضرائب القطر المصري يعاونه على الاملاك و يقتسمونه بينهم من كبيرهم الى صغيرهم . اما كاتب البك او كاتب اسرارهم فكانت له ضريبة خاصة على عمال الكاشف تكثروا و نقل تبعاً لاهمية الدخل و كانت في الغالب بين سبعة آلاف و عشرة آلاف فرنك سنوياً

و فضلاً عن ذلك كانوا يكيلون ما يأخذونه عيناً من الحبوب بمكيال يزيد ٣٠ في المائة عن المكيال الحقيقي و يأخذون الفرق لانفسهم . فالى هؤلاء ينسب ضعف الفلاح و انحطاط الزراعة اكثر مما ينسب ذلك الى ظلم البكوات رؤسائهم و اختلال حالة الاحكام

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيوكل ما يهم أهل البيت معرفة من تربية الأولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

وصايا صحية

كتب الدكتور هريكور الفرنسي^١ مقالة موضوعها الآداب العلمية ذكر فيها الوصايا التالية لحفظ الصحة وهي

- (١) اعتنِ بصحتك لان صحة الانسان ضرورية له ولازمة لامتته
- (٢) لا بد للعقل السليم من جسم سليم والرياضة لازمة لهما كليهما
- (٣) اعتدل في طعامك وامتنع عن الاشربة الروحية واقتصر على الماء شرباً
- (٤) اذا كان عملك جسدياً فكل الاطعمة النباتية والسكر واذا كان شغلك عقلياً فكل اللحوم
- (٥) العمل لازم للصحة
- (٦) توق مجاري الهواء البارد لا البرد
- (٧) نَمْ ثمانى ساعات في اليوم
- (٨) اياك والتبغ
- (٩) اَدْخِلِ الشمس غرفتك وأَطْلِقْ هواءها
- (١٠) اخمد الغبار بالماء
- (١١) اياك والستائر والبسط على انواعها
- (١٢) اقض ايام العطلة في الخلاء

القطر الزوجي وسلطة الفاكهة

ان اهالي نروج يأكلون الحلوى مع اللحم كأنهم الاتراك في تقديمهم الحلوى مع الوان الطعام ويصنعون قطراً يغمرون به الاثمار الطرية والمقددة فتستطاب كثيراً لان قطرهم يخالف للقطر العادي فهو شفاف ولكنه ليس شديد الحلاوة وهم يصنعونه هكذا

يزلون القطر العادي من غلب الاثمار المحفوظة في القطر ويضيفون اليه ماءً ويمزجون
ملعقة صغيرة من الاروروط بقليل من الماء البارد ويضعونه فوق القطر في كسارولاً ويضعونها
على النار حتى تغلي ويضيفون اليه قليلاً من السكر ويغلونه ثلاث دقائق او اربع . ويكونون
قد قطعوا الاثمار من الموز والبرتقال ومررتي الكثرى والشمش او الخوخ والتين والكبوش
والكرز والاناناس وما اشبه ووضعوها في صحن فيصبون القطر المشار اليه عليها حتى يغطيها .
ويمكن تنويع طعم هذا القطر باضافة عصير البرتقال اليه او عصير نوع آخر من الاثمار . ويمكن
ابدال الاروروط بالنشا

حلولى الرز والشمش

اسلق الرز في اللبن حتى ينضج جيداً وحله بالسكر واتركه حتى يبرد ثم احش به الشمش
وغمس كل مشمشة على حدها في البيض المخفوق جيداً ولثها بمسحوق الكمك او الخبز المحمص
الناعم واقلمها بالسمن وضعها في صحنه وصب عليها من القطر التروجي

الاستحمام

انشأ الناس الحمامات للاستحمام من قديم الزمان ففتن اليونان والرومان فيها وبلغوا
من انقيانها حدّاً لم يصل اليه ابناء هذا العصر وجرى العرب مجراهم لما امتلكوا بلاد الروم
وحماماتهم في مدائن الشام من اعظم مبانيها واجملها
والغرض الاول من الاستحمام تنظيف الجلد وتنشيط الدورة الدموية ولا سيما في الدين
اعمالهم البدنية قليلة

اما الحمام الذي يراد به تنظيف الجلد فيجب ان يكون بالماء الحار والوقت الاصلح له في
المساء قبل النوم ولتكن درجة حرارته معتدلة وينظف الجلد حينئذ بالليفة والصابون ويحسن
ان ينتهي بغسل البدن باسفنجة مبلولة بماء بارد وفركه وتنشيفه جيداً وفائدة الماء البارد تقليل
مسام الجلد بعد تفتحها بالماء الحار لكي لا يكثر العرق من الجلد

والحمام الذي يراد به تنشيط الدورة الدموية وانعاش الجسم هو الحمام البارد سواء كان
بالماء البارد او الهواء البارد ووقته الصباح حال القيام من النوم ويجب ان لا تطول مدته اكثر
من دقيقة او نصف دقيقة ولا سيما اذا كان الانسان لم يعتد الماء البارد ولا بد من فرك الجسم
كله جيداً بعد صب الماء البارد عليه حتى تعود الحرارة اليه ويحمر سطحه واذا كان الانسان
ضعيف الجسم فليس من الحكمة ان يغتسل بماء شديد البرودة ومن هذا القبيل الاغتسال

بماء البحر وبالهواء البارد فإنه يجب ان يكون قصير المدة ولا سيما اذا كان الجسم ضعيفاً ويجب فيه كله فرك الجسم جيداً بعد الاغتسال حتى يحمر
والحمام البخاري من قبيل الحمام السخن وهو يكاد يكون دواءً للزكام والتهاب الشعب والتهاب اللوزتين والروماتزم فيغني عن الدواء وهو من قبيل التنطيل بهبلة الماء الساخن والغرض منه تفتيح مسام الجلد وتعريقه فان العرق الكثير الذي يخرج منه يأخذ معه كثيراً من الفضول المتجمعة في الجسم

ماري كورلي

اشتهر بين كبار المنشئين في هذا العصر سيدة اسمها ماري كورلي تبنّاها في صغرها الدكتور تشارلس ماكي الشاعر الاسكتلندي محرّر جريدة لندن المصوّرة . فقرأت كل روايات سكوت وديكنس وثيري قبلما ناهزت الحادية عشرة من العمر وكانت من صغرها مغرمة بقراءة الاشعار ولا سيما اشعار كيش وشلي وبرون وتينسن وشكسبير وحظرت عليها قراءة الجرائد . وكان لها ميل شديد الى الموسيقى واراد الدكتور ماكي ان تنقطع لها ولكن انخرقت صمته وساءت احواله المالية فاضطرت ان تعدل عن درس الموسيقى وتبقى معه للاعتماد به وتعمل عملاً تكسب منه ما تستعين به على شأنها وشأن الرجل الذي ربّاه واعنى بها فألفت روايتها الاولى واسمها رواية عالمين وعرضتها على الخواجات بنتلي واولاده ليطبعوها وينشروها على نفقتهم حسب العادة عند الاوربيين فاعطوها لقراء قراؤها لم يحكموا بانها لا تصلح للنشر فردوها لها لكن تقريرهم عنها جعل المستر جورج بنتلي مهتم بها فطلبها منها وقراها فاعجب بها وطبعها وكان لها رواج عظيم وفي اقل من سنة اكسبتها اسماً بين كبار المؤلفين . فاختارت توالف الرواية بعد الرواية والكتاب بعد الكتاب فكسب اليها اعظم الرجال مثل غلادستون وتينسن والسر فردريك ليتون يعجبون بها ويطرون قريحتها

وكسبها شعرية معني خيالية مداراً لكن الحقائق تظهر من خلالها ظهور البدر من خلال الغيوم . اتفق لنا ان مسكنا كتاباً من كتبها يوم عطلة وكنا في سان ستافانو فلم نتركه حتى اتينا على آخره في يومين او ثلاثة ورأينا فيه من الشجاعة الادبية في المجاهرة بالحق ما يجعلها في مصاف سقراط الحكيم فقد انحت على خدمة الدين وكشفت عيوبهم وهتكت سئارهم وبينت فضائل الطبع البشري ما دام على سذاجته بعيداً عن حب الكسب حتى جعلت قارئها يفضل اللص قاطع الطريق على خادم الدين المدعي التعبد

وقد كتب عنها بعضهم الآن مقالةً في مجلة البوكان الانكليزية وصف فيها كيفية اشتغالها بالتأليف فقال انها تكتب بين الساعة العاشرة قبل الظهر والثانية بعده وتبيض ما تكتبه باعنائها شديد فكتب خلاصة الرواية بقلم الرصاص في دفتر ثم تكتبها بالتفصيل ثم نسخها بيدها وتنقحها وتعطيها لمن ينسخها لها ثانية بألة الكتابة وترسلها كذلك الى الطبع وهي خطيبة شديدة العارضة قوية الحجة ولكن قال بعض الناس انها تقصد الظهور والشهرة فاغناظت من ذلك وامتنعت من الحضور في المجتمعات العمومية . وقد سمعها المسترونستن تشرشل تخطب مرة فكتب اليها بعد ذلك يقول انني اذكر دائماً الوقت الذي جلست فيه الى جانبك وسمعت خطبتك وما فيها من البلاغة التي كادت تثني عزمي عن مقاومتني لانتخاب النساء

كتب التعليم وتعليم البنات

لما كنا نتلقى مبادئ العلوم كنا نستغرب ما فيها من الاعجام والبعد عن المألوف فقضينا شهراً قبل ان فهمنا معنى علم الصرف . ولما كنا ندرس علم الحساب كنا نستصعب حل كثير من مسائله لا من حيث طريقة الحل نفسها بل من حيث فهم المراد من السؤال كأن المسائل احاجي ومعميات يقصد بها امتحان مقدرة التلميذ على فهم مغزاها لا امتحان معرفته لعلم الحساب وقواعده . ولما دعينا للتعليم لم يكن من نصيبنا تعليم العلوم الابتدائية حتى نهتم ببسط قواعدها ومسائلها لكننا بذلنا جهدنا في ما علمناه من العلوم العالية لجعل العلم عملياً وربطه بأعمال الناس العادية او المألوفة . ومرت السنوات ولا يزال أكثر كتب التعليم على حاله ولا سيما كتب تعليم الحساب فاننا التفتنا الآن الى كتاب حساب من الكتب التي تدرس في المدارس الاميرية فرأينا مسائله لاتزل مثل مسائل كتب الحساب التي رأيناها في صبانا مما لا يقع لاحد استعماله مثال ذلك رجل وامرأته يتمان عملاً في ثلاثة ايام ونصف يوم اذا عمل الرجل فيه سبع ساعات كل يوم والمرأة عشر ساعات ويتمانه في كذا ايام اذا عمل الرجل كذا ساعات والمرأة كذا ساعات في اليوم ففي كم يوم يتم الرجل لو عمل فيه وحده وفي كم يوم يتم المرأة لو عملت فيه وحدها . وهذه المسألة من ابسط الاحاجي التي في هذا الكتاب الذي يفرض تعلمه على صغار الطلبة . اسأل تلميذاً انه كم ايجار خمسة افدنة وعشرة قراريط وخمسة عشر سهماً اذا كان ايجار الفدان سنة جنيهاً فيقف امامك والقلم في يده يجمع ويضرب ويقسم ولا يحير جواباً مع ان ناظر الزراعة الامي لا يعجز عن الجواب الصحيح . او اسأله كم طوبة نحتاج لبناء

غرفة طولها كذا وعرضها كذا وعلوها كذا وسمك جدرانها كذا اذا امكننا ان نبني مترين ومكعبين ونصف متر من كل الف طوبة فيعجز عن الجواب والبناء الامي لا يعجز عنه وقفنا مرة في مدرسة عالية مع المرحوم علي باشا مبارك فسأل التلامذة مسائل كثيرة في الهندسة والمثلثات والمساحة فكانوا يسردون قواعدا بالضبط التام ثم مسك عصاه بيده وقال كم سنتيمتر مكعب في هذه العصا وما يلزم معرفته للوصول الى الجواب فجعلوا يسردون قواعد المخروطات الناقصة من غير ان يهتدوا الى المطلوب

وغني عن البيان ان واجبات المرأة المنزلية ونحوها تقتضي معارف خاصة ويظهر لنا ان كتب التعليم التي بين ايادي البنات لا تصلح لذلك او لا نفي بالغايات المطلوبة من تعليمهن فيجب ان تنوع وتجعل عملية منطبقة على ما يحنجن اليه بنوع خاص وما يمكن ان يطلب منهن بنوع عام فالحساب يجب ان يكون منزلياً في مسائله على قدر الامكان . وكتب الادب يجب ان تكون اكثر امثلتها من منشآت النساء البليغة وتراجهن . وكتب حفظ الصحة ووظائف الاعضاء وتمرير المرضي يجب ان تشمل كل المواضيع التي تضطر المرأة الى معرفتها بنوع خاص . وينبغي ان تكون الامثلة في ذلك كله مما تراه البنت في نفسها وبيتها . ويحتز دائماً من العبث ومما يتعب العقل ولا فائدة عملية منه

عمل الجلاته ونحوها

تعمل الجلاته (البوظة) ونحوها من المثلوجات هكذا — : يؤتى اولاً بالآلة من الآلات المعدة لذلك وهي اناء من الخشب كالبرميل الصغير فيها اناء اصغر منه من الحديد له غطاء تثصل به قطعتان من الخشب والحديد المقصود والغطاء يدور على نفسه بترس يوضع فوق الاناء حتى يحرك ما يوضع فيه . والآلة كلها رخيصة يؤتى بها من اوربا وتباع عادة بثلاثين غرساً الى اربعين

يوضع المزيج الذي يراد عمل الجلاته او الكريمة منه في الاناء المعدني الداخلي ويوضع بينه وبين الاناء الخشبي الخارجي ثلج وملح وتدار الآلة بالمسكة والترس الى ان يبرد المزيج ويجمد . ونسبة الثلج او الجليد الى الملح نسبة ثلاثة الى واحد وكما استحال الجليد والملح الى ماء يصب من الآلة ويوضع بدلها جليد وملح . ولا بد من مراعاة القواعد التالية وهي (اولاً) يجب ان يكون الاناء الذي تصنع فيه الجلاته نظيفاً جداً وناشفاً لا ملح فيه ولا جليد (ثانياً) ان المزيج الذي يراد تجليده يجب ان يبرد جيداً قبل وضعه في الآلة

(ثالثاً) اذا لم يكن في الآلة اداة تدور في داخل الاناء الداخلي وتخط ما يحمد فيه وتزجه بعضه ببعض فلا بد من فتحه من وقت الى آخر ومزج ما فيه جيداً حتى يصير من قوام واحد

(رابعاً) اذا كان المزيج شديد الحلاوة فلا يحمد ولكن اذا اضيف اليه حينئذٍ نقط قليلة من عصير الليمون الحامض جمد بسرعة . واذا كان سكره قليلاً جمد خشناً كأن فيه قطع جلد وانواع الجلاتة كثيرة مختلفة اشهرها ما يأتي

جلاتة اللبن العادية — تصنع من رطل من اللبن (الحليب) ويضثن كاملتين وصفار ييضثن اخرين وثلاث اواقي سكر وقليل من روح الفانالا . يغلى اللبن ويصب على السكر والبيض بعد خفقه جيداً ويغلى على النار حتى يحمد قليلاً ويترك حتى يبرد جيداً ويطيب بالفانالا ثم يوضع في الآلة ويحمد كما تقدم

الكريمه — يؤخذ نصف رطل من اللبن الذي مزج بالبيض كما تقدم ويضاف اليه نصف رطل من الكريمه (القشدة) المخفوقة جيداً ويضاف الى نصف رطل اللبن ييضثن وثلاث اواقي من السكر اي يضاف الى نصف الرطل ما يضاف الى الرطل في المزيج الاول لانه لا يضاف شيء الى القشدة . ويمزج اللبن بالقشدة جيداً حينما يبرد المزيج يعطر بالفانالا ويحمد كما تقدم

الكريمه الايطالية — تصنع من نصف رطل من القشدة المخفوقة ونصف رطل من اللبن المعلل بالبيض والسكر كما تقدم وثلاث اواقي من الاثمار المحفوظة في العلب كالكرز ومعلقة صغيرة من الكنيك

كريمه القهوة — تصنع من نصف رطل من القشدة المخفوقة ونصف رطل من اللبن المعلل بالسكر والبيض ونصف رطل من القهوة وثلاث اواقي من السكر

كريمه الشوكولاته — تصنع من ربع رطل من الشوكولاته المذابة في ربع رطل من اللبن الصنف ونصف رطل من اللبن المعالج بالسكر والبيض ونصف رطل من القشدة المخفوقة واوقية من السكر

كريمه الفريز — تصنع من رطل من الفريز يمرث على منخل جيداً وثلاث اواقي من المسكر وعصير نصف ليمونة حامضة ونصف رطل من القشدة المخفوقة

كريمه الشاي — تصنع من نصف اوقية من ورق الشاي الجاف ورطل من اللبن الغالي ويضثن وست اواقي من السكر ونصف رطل من القشدة المخفوقة ومعلقة صغيرة من

الكنياك • يصب اللبن الغالي على الشاي ويترك ست دقائق ثم يصفى ويضاف البيض المخفوق الى هذا اللبن ويغلى به ويضاف اليه السكر وحينما يبرد يضاف اليه الكنياك
جلاته الليمون — تصنع من نصف رطل من السكر ورطل من الماء وبراشة قشر ليمونتين يغلى هذا المزيج ثلاث دقائق ويصفى وحينما يبرد يضاف اليه ربع رطل من عصير الليمون ويوضع في الآلة حتى اذا كاد يجمد يضاف اليه بياض بيضتين مخفوقاً جيداً ويكمل تجليده

باب المناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم ونشجداً للادمان • ولكن الهمة في ما يدرج فيه على اصحابه فمن برا لا منه كله • ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدم ما يأتي: (١) المناظر والظواهر مشتقان من اصل واحد فهناظره نظيره (٢) الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق • فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيمها كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خبر الكلام ما قل ودل • فالملامات الوافية مع الاستحسان تستفاد على المطالعة

قسمة المملكة العثمانية

حضرة منشي المقتطف الفاضلين

لقد احسن الباحث العثماني في كتمان اسمه وساحذو حذوه لكي لا ينتقل البحث من النظريات الى الشخصيات كما هي الحال في اكثر المناظرات فتضيع الفائدة المطلوبة ولأن المقصود هو ما يقال لا من يقول

البيان الذي جاء به حضرة الباحث العثماني جلي واضح والنتيجة التي وصل اليها لا جدال فيها وهي « انه لو كانت البلاد العثمانية كلها تركية او عربية اي لو كان لها لغة واحدة وحكومة واحدة ومجلس واحد لكان ذلك اصلح لها وكانت به اقوى مما لو كانت لها ادارتان وحكومتان وكان لها مجلسا نوّاب

وموضع الخلاف في ان الباحث العثماني يرى ان وجود ادارتين ومجلسين اصلح للبلاد واقرب الى العدل من وجود ادارة واحدة ومجلس واحد وثلاث السكان غير مشترك فعلاً في حكومة بلاده كما هي الحال الآن ولكنه لم يحتم بصحة هذا الرأي وتفضيله على غيره بل قال

«وقد اكون مخطئاً في رأيي هذا فارجو ان يطرح موضوعي على بساط البحث» الخ
 وكاتب هذه السطور ليس على رأي الباحث العثماني ولا انكر انه ان كان لابد من توحيد
 اللغة فالعربية اصلح من التركية ونبغاء الاتراك ونبلاءهم يتباهون بتعلم العربية والتكلم بها وهم
 يجيدونها كلاماً وكتابةً . وقد قال لي غير واحد منهم انهم آسفون لانهم لم يحاولوا اقتباس
 العربية قبل الآن وجعلها لغة السلطنة العثمانية وفي نيتهم ان يبدلوا وسعهم في هذا السبيل .
 اما انا فلا استسهل توحيد اللغة كما يستسهلون بل احسبه ضرباً من المحال لانه يشترط في
 ابدال لغة بأخرى ان تهمل اللغة الاولى تمام الاهمال وتبذل العناية كلها في حفظ الثانية
 واذا عتبت . فهل في طاقة احد الآن ان يمنع كتاب الترك من الكتابة بلغتهم وعلماؤ الترك من
 التأليف في لغتهم وينع الصحف التركية من النشر والانتشار . هل يستطيع احد ان يلجم
 اقلام الشعراء ويكف افواه الخطباء . هذه احلام لا يسلم بها احد ولا في المنام ليصير في
 الامكان تغلب العربية على التركية . نعم ان العربية تغلبت على القبطية والسريانية والرومية
 في مصر والشام ولكن كان ذلك في دور الانحطاط ولم تكن ثم مطابع ولا جرائد ولا شيء من
 وسائل نشر الافكار ومع ذلك بقيت اعمال الدولة ودفاتها بالقبطية والرومية زمناً طويلاً
 وابدلتا بالعربية قوة واقتداراً . وغني عن البيان ان الاتراك لا يلجأ الى القوة في ابدال
 لغتهم بالعربية ولو كانوا ميالين الى ذلك . وكيفما قبلت نظري في هذا الابدال اراه بعيد
 الامكان ان لم يكن ضرباً من المحال

وابدال العربية بالتركية ليس اقرب الى الاحتمال من ابدال التركية بالعربية لاسيما
 وان العربية اوسع نطاقاً من التركية بما لا يقدر وفيها الآن من كبار الكتاب في كل فن ومطلب
 ناهيك عن ارتباطها بالدين الذي يدين به الاتراك وهم لو خيروا لما اختاروا انقراضها ولو لم
 تكن لغتهم

ولكن هل اشغال الحكومة تقتضي حتماً ان يكون للامة لغة واحدة . كلا فهو لاء اهالي
 ولس يانكلترا لغتهم غير اللغة الانكليزية ومع ذلك ترى النظار منهم في الحكومة الانكليزية
 وقد صاروا يتكلمون اللغتين على حدٍ سوى . ونحن في اختيار نوابنا لمجلس النواب لا نعتمد على
 الصدفة والاتفاق بل نختار المعلمين المتهذبين الذين يصلحون لقيادة الامة وهو لاء قلما يوجد
 منهم من لا يعرف لغة اجنبية مع لغته كالفرنسية والانكليزية والاطالية . ولم نهتم قبلاً بتعلم
 التركية كراهة استبداد الحكومة السابقة اما الآن فلا اعجب اذا صار اكثر اولادنا يتعلمون
 التركية مع العربية . وقس على ذلك الضباط والقواد فان اكثر شبان البلاد العربية سيشرعون

من الآن في تعلم اللغة التركية مع لغتهم العربية ولا يمضي عشر سنوات حتى تشيع اللغة التركية بين المتعلمين أكثر من شيوع اللغة الفرنسية الآن ومن هؤلاء ينتخب تلامذة المدارس الحربية . وإذا أنصف سكان الولايات العربية فاختر ولاتهم منهم فيكونون عارفين بالعربية مع معرفتهم بالتركية . وقد يزيد ذلك اهتمام الاتراك بتعلم العربية اما قسمة حكومة البلاد وادارتها الى قسمين فضعف لها جداً وينتهي بقسمتها فعلاً وقد لا يتم ذلك الا بعد حروب اهلية فيجب الابتعاد عنه حتماً . وعندى انه لو تير الاتراك بين ان يجعلوا اشغال الحكومة بالعربية وبين ان يقسموها الى قسمين ولم يكن لهم مناص من احد الامرين لاخاروا الاول على الثاني لانه اقل منه ضرراً ولو كان أكثر منه تعباً

باحث سوري

بالتقريظ والانتقاد

خواطر نيازي

بحث انتقادي

احمد نيازي بك الرسنه لي بطل الدستور اشهر من نار على علم وقد اقترح عليه ان يكتب خلاصة الاعمال التي عملها في سبيل الدستور وما يتصل بها وكان قد كتب ما جرى من الحوادث يوماً فيوماً فادمجها في كتاب سناه ' خواطر نيازي ترجمه الى العربية حضرة الكاتب البليغ ولي الدين بك يكن وطبع في هذه العاصمة

بدأ نيازي خواطره بمقدمة تاريخية فلسفية فبين الادوار التي مرت عليها الدولة العثمانية من حين ظهورها سنة ٦١٩ هجرية الى سنة ٨٥٧ حين فتحت الاسناتنة ومن ذلك الحين الى سنة ٩٨٦ وقتما بلغت اوج مجدها وصار ملوك الارض يخطبون ودها وعقدت المعاهدة المشهورة مع الملكة اليصابات ملكة الانكليز . قال ولما بلغت من الرفعة ومواتاة الحظ مبلغ الكمال ادعى بها فرط الغنى والاقبال الى الوقوف من سنة ٩٨٦ الى سنة ١١٨٠ اي حين ابتدأت الحروب مع الروس . والدور الاخير بين سنة ١١٨٠ و ١٣٢٤ هو دور الخمول والاضمحلال ولكن الدولة لم تلق فيه من شعبها بأساً بل وجدته لما انتهت مثأباً وملؤه امل في الحياة . وقد قام فيها حتى في زمن خمولها واضمحلالها سلاطين عظام مثل سليم الثالث

ومحمود الثاني وعبد الحميد الاول ورجال نوابغ مثل رشيد باشا ومصطفى فاضل باشا ومدحت باشا وشناسي كمال بك . ولكن الدور الرابع الذي استهل بالشهيد الاعظم سليم الثالث وختم بالشهيد الثاني مدحت باشا لم يكن ختامه بقتل الشهيد الثاني سوى فجر كاذب ينيء باشداد الظلام فيه فارتدت ظلمة الليل البهيم بعد ذلك حتى انت الامة كلها وعادت اليها قوة دافعة دفعت بها من ذلك الجور الجهنمي فكان من ذلك انقلاب ١٠ تموز الماضي . نعم ان هذا الانقلاب الذي ابتدأ منذ مئة سنة ونيف وتعطل اثنين وثلاثين عاماً لم يحدث بتدبير حكيم ولا ببأس ذي بأس بل جاء برغبة شعب بات غرض الكوارث والمصائب

والمقدمة كلها على هذا النسق التاريخي الفلسفي ومع ذلك استطاع عبد الحميد ان يخفي مواهب الوف من الضباط الذين مثل كاتبها . ان هذا لمن اعجب العجب . وتبتدى الخواطر بخلاصة تاريخية من سيرة نيازي نفسه حين كان تليذاً لم يستكمل اربع عشرة سنة من عمره وذلك سنة ١٣٠٣ قال انه سمع من ذلك الحين ان الوطن احترق والدولة غرقت والسلطان أحبط بالخائنين فايقن انه لا يستطيع خدمة امته الا في المدارس العسكرية فدخل المكتب الرشدي (العسكري) لكن اقاربه حاولوا صرفه عن عزمه لان الضباط المتخرجين من المكاتب العسكرية لم يستطيعوا ارجاع مجد الجيش العثماني فزاد شغفه بالجندية عساه ان يجد فرصة للانتقام من الخونة الذين اضرؤوا بالوطن ابتغاء منافعهم الخاصة فانتقل الى المكتب الاعدادي العسكري مسوقاً بحب الوطن . قال وكان اليوزباشي اورخان افندي استاذ الفرنسية واليوزباشي توفيق افندي استاذ التاريخ يأتیان بالمباحث المفيدة فيذكران الحمية والترقي ومحبة الوطن ويقصان اخبار القدماء الذين استشهدوا في حب وطنهم من العثمانيين والفرنسيين . وكما دار الكلام بيني وبين اخواني في المكتب على احوال العالم كان اسم الاديب الاعظم كمال بك موضوع حديثنا فنستغرب كيف يكون رجل مثله مبغوضاً من الدولة على غزارة علمه وفضله وشدة حميته واخلاصه . وكنت اقول في نفسي اننا نتعلم هنا لتكون قواداً لابناء وطننا فلماذا يضطروننا ان نخفي احساساتنا الطاهرة ولا يدعوننا نقرأ المؤلفات التي تنميها وتعليها ولماذا لا يربون شبان الوطن على ما يقتضون به من كمال كل الامم ليكونوا دواءً لهذا الانحطاط وقال انه حفظ كثيراً من اشعار كمال بك وغيره من القدماء وهو في المدرسة الملكية الاعدادية فكانت غذاءً لنفسه وملجأً يلجأ اليه اذا خاف الوقوع في اليأس ولا سيما بيت كمال بك القائل ما ترجمته

لا تحسبن احتقار الشعب يورثه هوناً فليس يهان الدرء ان سقطا

ثم دخل المدرسة الحربية في الاسطانة سنة ١٣١٠ فرأى انه امسى في سجن اسير المصائب حيث لا يحل لاحد ان يثاقل باسم كمال بك او غيره من الاحرار . وكان في تلك المدرسة ثلاثة من الاساتذة يحبون الآمال بدروسهم فنفوا وأجلوا عن الوطن . ونج من كثرة التضيق على التلامذة ومما كانوا يرونه من دلائل الفساد ان القوا جمعية سرية يقصدون بها انتقاذ البلاد من المابين وخذامه لكن ادارة المدرسة اكتشفت جمعيتهم وبددت شملهم . ولما اتوا دروسهم واستلموا الشهادات وحلقوا اليمين قالوا في ضمائرهم انهم يخلصون الخدمة للتحق والوطن بدل العبارات التي كررها عليهم من سلمهم الشهادات . قال نيازي ولم يشد في ذلك الا بعض اولاد الكبراء

ثم وصف الحرب العثمانية اليونانية وقال ان الدولة اثارته لكي تغلب بها على الاميال الثورية التي اخذت تشدد في ذلك الحين فان اركان الحرب وشبان الضباط ومعلمي المدارس والمهندسين والمحامين وبعض ذوي الحمية من المدرسين والتلامذة واهل التجارب من الكهول كانوا يجتمعون سرّاً ويبحثون عن سبيل يؤدي الى خلاص الوطن رغماً عن الجرائم المنتشرة من منبع يلدز المتعفن وتقارير الجواسيس . وكانت الثورات التي اثارها العرب في اليمن والارمن في الاناطول والاسطانة والحروب الدموية في كريد اقوى امارات الميل الى الاتحاد والمقاومة للاستبداد . ولكن تألف اكثر رجال الحكومة والجندية من المسلمين دون المسيحيين وحرمان المسيحيين من مناصب الحكومة وثقوية التعصب والتفريق بين الطوائف كل ذلك لم يدع مكاناً للثقة العامة . ثم انه حلّ بارباب الحمية من الاعدام والتعذيب ما لا يوصف فاضطر بعض الاحرار الذين سلموا من القتل والنفي الى المهجرة فركنت يلدز الى الحيلة لتسقط هؤلاء الاحرار وارسلت اليهم الجواسيس الخونة مبرقعين يبرقع الصداقة ومشممين بسمة الاحرار وجادت في هذا السبيل بالمال لكي تسوء سمعة الاحرار الحقيقيين ويتزعزع امل الاصلاح من اساسه . وساعدها على ذلك الجرائد التي اشترتها بالمال . ثم ذكر ثورة البلغار واسهب في اسبابها ونتائجها وكيف عرف ان في سلانك جمعية مؤلفة من احرار العثمانيين وكانت الكتب التي طبعت في مصر ونشرت من مؤلفات احمد رضا بك وناجي افندي قد احدثت حركة شديدة في الافكار واعدها لما يليق عليها ثم جاء عدم اهتمام الحكومة الحميدية بما كان جارياً في مكدونيه معجلاً للانقلاب

قال كنت في مكدونيه اطارد العصاة كغيري من ضباط الجيش وذلك من سنة ١٣٢٠ الى سنة ١٣٢٤ وكانت اكثر المعارك تنتهي بفوزنا فتأتي بالجناة ومعهم قنابلهم واسلحتهم ثم

يصدر العفو عنهم ويحلى سبيلهم . وكانت نظارة الحرية لا تستحي من مخالفة العدل في الحقوق العسكرية فتهب الرتب والمناصب والرواتب للاصهار والجواسيس والمنافقين لا للجهدين المستحقين . فذلك وقلة الملابس وخبت الزاد وعدم اهتمام الحكومة بدفع الرواتب للجنود وطرد في افكارهم فكر الثورة

وكانت جمعية الاتحاد والترقي العثمانية قد علمت وعلمت الناس في غضون ذلك ان تلك الاسوء ليست ناتجة من القواد والمفتشين والسر عسكر والصدر الاعظم بل من شكل الادارة فاستألت اولي الضمائر الصادقة والمخلصين ولم تعد ترى حاجة الى التستر كما كانت عليه من قبل ثم ذكر كيف درت الحكومة بالجمعية وناصبته العدوان وكيف فازت الجمعية عليها اخيراً في حديث طويل مملوء بالعبس سداه ولحمته حوادث تاريخية يود كل عثماني الوقوف عليها لانها تبين له كيف زرع غرس الحرية وكيف نما وترعرع وما اصابه من العواصف والزواج وكيف صبر عليها الى ان اشتدت اصوله وفروعه

ولقد كان من حظ هذا الانقلاب المبارك أن كتب نيازي بك كل ما اتصل بعلمه عنه في يومياته ثم جمع منها ومن بعض المحررات الرسمية هذه الخواطر الحسان . وكان له النصيب الاوفر من الاعمال المجيدة التي قلبت الحكم الماضي والوسائل التي استخدمها لذلك ضعيفة في ذاتها اذا نظرنا اليها من وجه حربي فقط وكان في الامكان اخماد انفاسها في طرفة عين ولكن حكمته ومهارته وتفانيه في حب وطنه ودناءة خصومه وخستهم وفروغ صبر الناس على الحكم الحميدي كل ذلك حقق الفوز له وللحفنة من الرجال البواسل الذين خرجوا معه

ومن امثلة المهارة التي ابدتها في اعماله والاخلاص الذي يتخللها كلها ما كتب به الى جرجيس رئيس جمعية طوسقا الالبانية حيث يقول « عزيزي جرجيس

اني لجأت الى البلقان في مئين من الفدائيين مسلحين ببنادق موزر جاعلاً نصب عيني خلاص الوطن من الخطر الكبير الذي بات فيه وعازماً على فدائه بالروح . ولما كانت خطتك التي سننتها من اسرع الاشياء جلباً للخطر على هذا الوطن المقدس كانت مطاردتي لك اكثر من سواك ولكنني امد اليك الآن يدي فقد آن لنا ان نتحد فلنجتمع حيثما اردت وكيفما شئت ولنجهد معاً في خلاص الوطن لان الخروف الذي ينفرد عن القطيع يحفظه الذئب »

ومن امثلتها استعانهه بالبلغار بين المسيحيين على تخليص الوطن بمنشور نشره عليهم كله حكمة وتودد وغيره قال ولقد اثر هذا المنشور في البلغار بين تأثير المعجزة وزاده قدراً مخاطبة ضابط مثلي لم مخاطبة الاخوان ودعوته اياهم الى الاتحاد بعد ما بدد شملهم وكسر قوتهم اربعة

اعوام . واني لم استخدم قوتي في الشربل في ضمان الحق والحرية للجميع على اختلاف المذاهب والاجناس ولم اميز المسلمين عن غيرهم في انفاذ العدل الى غير ذلك مما يعلي شأن الجمعية ويزيد الثقة بها

ويظهر لنا ان لغة الكتاب التركية فصيحة لبلاغة معانيه وهذا مما لبك حضرة مترجمه وهو من ابلى الكتاب بالعربية فحرص على كثير من الفاظه العربية الاصل وتراكيبه البليغة بلانته التركية فجاءت عربيته عويصة قليلة الوضوح والسلاسة ومع ذلك فلا بد لكل من يجب الحرية العثمانية من ان يطلع هذا الكتاب بالامعان . فانه ليس مجرد قصة تاريخية بل هو بحث اجتماعي في شؤون الدولة العثمانية وادائها وطرق علاجها . هاك مثالاً على ذلك من بعض مآلاته جمعية الاتحاد والترقي في لائحتها التي قدمتها الى الدول

« انه ليس في مكدونية داء خاص بها ولا مسألة ناجمة عنه وليس فيها تعصب اسلامي . ونحن نقول قبل كل الناس ان سكان مقدونية ليسوا في الرفاه المطلوب وافكارنا منققة من هذه الوجهة مع اوربا الا ان اختلافنا هو في تعيين منشأ الضرر ولهذا نختلف في اتخاذ الوسائل المانعة له . وسبب الضرر في كل الولايات التي تتألف منها المملكة العثمانية لافي مكدونية وحدها هو الاستبداد والظلم في اصول الحكومة الحاضرة والامر الذي آل بالبلاد الى هذه الحالة التي لا تطاق هو فقدان الحرية . والمرض المستولي على بلاد العرب او طرابلس الغرب هو عين المرض المستولي على مكدونية . فكل الاقوام المؤلفة من الترك والعرب والالبانيين والجرس والاكرا والارمن والفلاخ واليهود والعرب والروم والبلغار ممن يشملهم الاسم العثماني يكابدون تلك المشاق بعينها ويئون تحت تلك الاثقال بعينها وفرق المذهب والجنس لا يخفف اعباء احد وليس بمكدونية ولا بغيرها من الولايات نوعان من الناس احدهما ممتاز والاخر مظلوم بل كلنا بلا استثناء مشتركون في الظلم وكلنا رازح تحت استبداد واحد

« فان كانت حالة مكدونيا تهتم اوربا وان كانت اوربا تريد حقاً ان تسعد المكدونيين فالذي يجب عليها ظاهر للعيان . اعينونا فعلاً على هدم الاستبداد الحاضر والخروج الى النور فيسعد العثمانيون عامة ويسعد معهم المكدونيون »

واكثر المنشور على هذا النمط وقد اهتم الذين كتبوه بنفي تهمة التعصب الديني . ولا ندري لماذا بهتهم الناس كثيراً بنفي هذه التهمة مع اننا لا نرى اصحاب دين الا وهم متعصبون لدينهم ولا ضرر من التعصب الا اذا تطرف الى المسائل العمومية كأن اتخذ ذريعة الى سلب حقوق الغير المدنية . اخبرنا رجل من دمشق ان الآراء اتفقت على انتخاب وجيه من وجهاء

المسيحيين منها لمجلس المبعوثان واجتمع المنتخبون عند اثنين من الكبراء احدهما عالم كبير فقال لهم العالم ان انخابكم فلاناً لمجلس المبعوثان وهو مسيحي غير جائز شرعاً . فاجتمعوا عن انتخابه . فهذا هو التعصب الذميمة لان صاحبه تذرّع بالدين لسلب الحقوق . ولا مشاحة ان هذا التعصب موجود في ادمغة كثيرين من المدعين خدمة الدين وهو آفة كبيرة من آفات المشرق وانكاره ليس من الصواب

وفي هذا المنشور كلام شديد على روسيا والسياسة الروسية نخب ان لا يكون اساسه مبنياً وان تكون السياسة الروسية في بلاد الدولة العلية على غير ما وصفت في هذا المنشور . وعسى جمعية الاتحاد والترقي ان تكون قد رأت الآن من دول اوربا كلهن ما جعلها تحسن الظن بمقاصدهن نحو الدولة العلية وثق انهن لم يتعرضن لشؤون مكدونية الا مكروهات وان عند كل منهن من المشاغل ما يكفيها ويشغلها عن غيرها من دول المشرق

ويقيننا ان الدول الاوربية تكون اول شاكرا لنا حينما نكفيها مؤونة الاهتمام بامورنا لانه لا ينالها من ذلك الا القلق والخسائر . واكثر ما يشكو منه الوزراء الاوربيون اطلاق المبشرين لهم بشكاوهم . فلنشك الجمعية انه اذا جرى العدل في البلاد العثمانية او اذا بطلت شكوى الشاكين لم تعد الدول الاوربية تتعرض لنا الا كما يتعرض بعضها لبعض . وهذا الامر نعلمه يقيناً بالخبر والخبر . وما شكونا الحقيقية من مداخلة الاجانب بل مما كان في البلاد من سوء الادارة . ولقد اجاد صاحب الخواطر في ما كتب به الى مدير رسنه في هذا المعنى حيث قال « ان كل المصائب التي وقع فيها الوطن هي نتائج الاستبداد واحوال الاداة المستقلة ولن تنتهي هذه الاسوء ما لم تصر الحكومة شرعية ودستورية وما لم تتغير اصول الادارة من اساسها »

ويجبنا انصاف المؤلف في اعطائه كل ذي حق حقه قال في كلامه عن قرية اسمها وجهان « انها ذات شأن عظيم لانها مأمن لعصابات البلغار بين فلما رأى اهلها طليعتنا داخلهم الخوف فاقفلوا دكاكينهم ويوتهم واختفوا فاسندعينا شيوخهم وامانهم بالشرف والذمة واخذنا معهم في البيع والشراء فاطمأنوا وزال خوفهم ووضعوا ايديهم على الانجيل وعاهدونا على ان يصدقوا للمقصد العالي وان يسرعوا في انفاذ امرنا ومناصرتنا متى دعت الحاجة . ولما كان المساء واخذت شمس الاكون تودع القرية بشعاعها المتضائل وتشدعها صدور الظلمات اخذت الضمائر التي اظلمت بليل المخاوف تستير بشمس العدل وجعلت النواصي المستتيرة باسعة الامل والوجوه المستبشرة بانوار البشر تشيعنا فيزيد ذلك جمال الطبيعة جمالاً . وبعد ان سرينا

ساعة ونصفاً قاربنا قرية رادويشنا فعادت طليعتنا التي كنا انقذناها اليها لتعد لنا اماكن النوم وقالت لنا ان سكان هذه القرية ثقلوا اسلحتهم واحتشدوا في ميدان الجامع غاضبين ومتأهبين لمقابلتنا بالنيران وعبثاً حاولنا ان نبين لهؤلاء الناس الجهلاء المتعصبين مرادنا وان مقصدنا تأييد العدل»

وقد بذل نيازي ورجاله وسعهم في اقناع اهل هذه القرية بقبولهم عندهم تلك الليلة وكان يعرف كثيرين من شيوخهم ووجوههم فلم يتمكن من اقناعهم فاضطر ان يعود هو ورجاله وبيتوا قرب المطاحن جوعاً عطاشاً قال «ولم تذق عيناى غمضاً طول ليلتي لما عراني من الغضب واليأس» . قابل ذلك بما ذكره عن اهل القرية الاولى وعن رهبان دير صاري صالتيق حيث قال «نقابلنا مع الرهبان فبالغوا في اكرام وفادتنا واظهروا من كرم الضيافة خيزم مثال وقد جرى بيننا هذا الحديث انا — انكم تجعلوننا اسرى منكم بما تستقبلوننا به ولا تدعون لنا مجالاً لبيان مقصدنا . ان مقصدنا الاصلي تأسيس اخاء بين العناصر المختلفة التي في وطننا واحداث قوة تضرب على الاحوال التي تجر به وايجاد حكومة دستورية شرعية . والاساس هو تهئية الاسباب لاستعادة الحال السعيدة التي كانت في سنة ١٢٩٤

رئيس الرهبان — ان شرف مقصدكم ظاهر من نهج حركاتكم . الناس كلها راضون عن حسن اعمالكم وعدلكم وقد وثقنا نحن ايضاً من اننا سنرى قريباً توفيقكم . ساجتهد ما استطعت في اعداد كل ما تحتاجون اليه . لقد صدرت الاوامر الواجبة من اجل الخبز واللبن انكم تعبون فاستريحوا»

ولا غرابة في ذلك فان المنشورات التي كان ينشرها نيازي كانت كلها تدعو الى اطمئنان المسيحيين وثبت لهم ان الغرض انشاء حكومة دستورية تشترك فيها جميع العناصر المؤلفة منها الشعب العثماني على السواء . وكذلك الجمعية كانت تكتب في منشوراتها دائماً «ان يعامل الاهالي بنائة ما يستطيع من العدل والرفقة من غير فرق بين الجنس والمذهب» ومن رأي نيازي ان هذه الثورة افلحت لانها شملت جميع العناصر من غير استثناء . قال في خطبة خطبها بعد اعلان الدستور ما يأتي

«يا ابناء وطني — ارى اضطراراً ان اجمل البيان عن عدم التوفيق والنجاح في الثورات من نحو اثنتي عشرة سنة في الاناطول وفي الست السنوات الاخيرة في الرومي . ان ثورة مواطنينا الارمن في الاناطول ضد حكومتنا المستبدة لما لم تكن شاملة سائر عناصر الوطن بل خاصة بالارمن فقط وثورة مواطنينا البلغار بين اخيراً في الرومي كانت منحصرة في

العنصر البلغاري ... فاستعملت الحكومة العناصر المتنافرة بعضها ضد بعض فاجبعت مساعي الثائرين»

هذا وفي الكتاب صور كثيرة من صور الافراد والجماعات والاماكن منقولة عن صور شمسية مما كان يصوره نيازي ورجاله تحقيقاً للحوادث وحذا لو طبعت في الترجمة العربية على ورق وحدها لامع ملازم الكتاب لكي يجي طبعها واضحاً ولم نحاول تلخيص حوادث الكتاب في هذا التقريظ لاننا نود ان يقرأ كل احد الكتاب نفسه بالامعان الذي يستحقه فيرى كيف استطاعت حفنة من الرجال البواسل الصادقين ان يقبلوا حكماً ظالماً كانت تحشاه الالوف والملايين

الحرية في الاسلام

مسامرة لحضرة الشيخ محمد الخضر احد المدرسين في جامع الزيتونة الاعظم وفي المدرسة الصادقية القاها في نادي جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية في ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٤ وهو يومئذ بمدينة بتزرت . وقد جعل مدارها على حقيقة الحرية والشورى والمساواة والحرية في الاموال والحرية في الاعراض والحرية في الدماء والحرية في الدين والحرية في خطاب الامراء وآثار الاستبداد

وحدد الحرية بقوله هي ان تعيش الامة عيشة راضية تحت ظل ثابت من الامن على قرار مكين من الاطمئنان ومن لوازم ذلك ان يعين لكل واحد من افرادها حداً يتجاوزه وتقرر له حقوق لا تعوقه عن استيفائها يد غالبية . ثم فصل ذلك تفصيلاً حسناً فقال « ومن كشف عن حقيقة الحرية سثار الاجمال اشرف على اربع خصال مندبجة في ضمنها احدها معرفة الانسان ما له وما عليه فان الشخص الذي يجهل حقوق الهيئة الاجتماعية ونواميسها لا يبرح في مضيق الحجر مقيد السواعد عن التصرف حسب ارادته واختياره حتى يستضيء بها خبرة ويقتلها علماً اذ لا يأمن ان تطيش افعاله عن رسوم الحكمة والسداد فيقع في خطيئة تحدث في نظام تلك الهيئة علة وفساداً . ولا يخالط الضمائر من هذا ان الحرية مقصورة على علماء الامة العارفين بواجباتها اذ للاميين منها مخلص فسبح وهو باب الاستفتاء والاسترشاد قال تعالى (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون)

ثانها شرف نفس يزكي طويتها ويطهر نواياها من قصد الاعتداء على ما ليس يحق لها فلا ترمي بهمتها الا في موضع تشير اليه العفة بينانها

ثالثها اذعان بدخل به تحت نظر القوانين المقامة على قواعد الانصاف ويستنزله ريثما تحرر
ذمته من المطالب التي توجه اليها باستحقاق
رابعها عزة جانب وشهامة خاطر يشق بها عصا الطاعة للباطل ويدمغ بها في قوة من يسوم
عنقه بسوء الضم والاضطهاد

ولا يقيم على ضم يراد به الا الاذلان غير الحي والوتد
نستنتج من هذا البيان ان الاساس الذي ترفع عليه الحرية قواعدها ليس سوى التربية
والعلم فينأكد على الحكومة التي تنظر الى فضيلة الحرية بعين الاحترام ان تسعى جهدها في
تهذيب اخلاق الامة وتنوير عقولهم بالتعليمات الصحيحة»

واسهب بعد ذلك في تفصيل المشورة والمساواة ولا ندرى ما يقول في المساواة بين الناس
في حقوق الولاية هل يبقى على ما تقتضيه الحرية الشخصية من ان الناس احرار في ان يولوا عليهم
من يشاؤون مهما كان دينه ومذهبه او يستثنى فيها كما استثنى في الحرية الدينية حرية من
ارتد بدعوته الى الانابة والتوبة فان رجع والا ضرب بالسيف على عنقه

اننا نعلم حرج الموقف الذي يقف فيه كل من يحاول التوفيق بين الاحكام السياسية
وبين الاحكام الدينية ولهذا ننصح دائماً لكل المشتغلين في هذا الموضوع ان لا يهتموا بهذا
التوفيق لانهم لا يفيدون الدين ولا يفيدون السياسة وقد يضر ونهما كليهما. ولقد حاول
كثيرون من الاوربيين التوفيق بين اقوال التوراة واحكامها وبين القواعد السياسية والحقائق
العلمية ففسروا واوّلوا وضيقوا ووسعوا وغيروا وبدّلوا وقالوا اخيراً بترك الدين وحده والعلم
وحده والسياسة وحدها الى ان نتفق كلها اتفاقاً صريحاً لا شبهة فيه لان الحق واحد لا يتنوع
والمسامرة، من انفس ما رأينا في موضوعها بالعربية وقد وصف صاحبها الحرية والاستعباد
وصفاً شعرياً بديعاً قال واذا اضاءت على الامة شمس الحرية وضربت باشعتها في كل واد
اتسعت آمالهم وكبرت همهم وتربت في نفوسهم ملكة الاقتدار على الاعمال الجليلة ومن
لوازمها اتساع دائرة المعارف بينهم فتفتقت القرائح فهما وترتوي العقول علماً وتأخذ الانظار
فسحة ترمي فيها الى غايات بعيدة فتصير دوائر الحكومة مشحونة برجال يعرفون وجوه مصالحها
الحقيقية ولا يخرّفون عن طرق سياستها العادلة

والحرية تؤسس في النفوس مبادئ العزة والشهامة فاذا نظمت الحكومة منهم جيشاً
استماتوا تحت رايتها مدافعة ولا يروون القتل سبة اذ ما رآه الناكس رؤوسهم تحت
راية الاستبداد

ثم ان الحرية تعلم اللسان بياناً وتمد البراعة بالبراعة فتزدهم الناس على طريق الادب الرفيع
وتنور المجامع بفنون الفصاحة وآيات البلاغة هذا خطيب يدعو الى سبيل ربه بالحكمة
والموعظة الحسنة وذلك شاعر يستعين بأفكاره الخيالية في نصرة الحقيقة ويحرك العواطف
ويستنهض الهمم لنشر الفضيلة وآخر كاتب وعلى صناعة الكتابة مدار سياسة الدولة

ولم تكن ينابيع الشعر في عهد الخلفاء الراشدين فاعرة افواها بنى المديح والاطراء وانما
ترشح به رشحاً وتمسح به مسحاً لا يزهده من فضيلة الحرية فثيلاً وما انفلت وكاؤها وتدفت
بالمدايح المتغالية الا في العصر العريقة في الاستبداد

ولما قر في صدر عمر بن عبد العزيز من تنظيم امر الخلافة على هياته الاولى لم يواجه
الشعراء بحفاوة وترحاب وقال مالي وللشعراء وقال مرة اني عن الشعر لني شغل . انتجعه جريـر
بايات فأذن له بانشادها وقال له انق الله يا جريـر ولا نقل الا حقاً وعندما استوفاه واصله
بشيء من حر ماله فخرج جريـر وهو يقول خرجت من عند امير يعطي الفقراء ويمنع الشعراء
واني عنه لراض ثم انشد يقول

رأيت رقي الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقيا
ومن ماثر الاستعباد ما نتجشأ به الاله وتسيل به الاقلام من صديد الكلمات التي يفتضح لك
من طلاوتها انها صدرت من دواخل قلب استشعر ذلة وتدثر صفاراً نحو (مقبل اعتباركم)
(المشرف بخدمتكم) (عبد نعمتكم) ولا اخال احداً يصغي الى قول احد كبراء الشعراء
وما انا الا عبد نعمتكم التي نسبت اليها دون اهلي ومعشري
الا ويمثل في مراة فكره شخصاً ضئيلاً يحمل في صدره قلباً يوشك ان ينوء بما فيه من
الطمع والمسكنة

ومن سوء عاقبة الخضوع في المقال ان يوسم الرجل بلقب وضع ينحته له الناس من بعض
اقوال له افرغ فيها كسبة من التذلل وبذل المهمة كما سموا رجلاً باسم (عائد الكلب) لقوله
اني مرضت فلم يعدني واحد منكم ويمرض كلبكم فأعود

ولا نجعل ان بعض من سلك هذا المسلك من التملق والمديح اتخذهُ سلباً ليظفر بحق ثابت
ولكنه لا ينافي الغرض الذي يرمي اليه من ان الحقوق في دولة الحرية تؤخذ بصفة الاستحقاق
وفي دولة الاستبداد لا تطلب الا بصفة الاستعطاف . انتهى بلفظه الرشيق ومعناه الانيق
ولقد احسن حضرة منشيء هذه الرسالة بطبعها ونشرها فهي حرية بان نقرأ وتحفظ

ويسترشد بها

باب المسئلة

(١) تسبيع الدائرة

الجاولي . زكي افندي ميخائيل المزبكي .
نرجوان تنشروا في مجلتكم الزاهرة مقالة مسمية
عن مسألة تسبيع الدائرة وما هو المعطى وما
هو المطلوب

ج . لا نرى فائدة من نشر مقالة مسمية
في هذا الموضوع . ولا الموضوع يحتمل ذلك
وغاية ما في الامران اقليدس ذكر في هندسته
قواعد هندسية لقسمة الدائرة الى قسمين
متساويين وثلاثة اقسام متساوية واربعة وخمسة
وسبعة وخمسة عشر ومن حيث ان كل قوس
نقسم الى قسمين متساويين فتقسم الدائرة ايضاً
الى ٨ و ١٠ و ١٢ و ١٥ و ١٦ و ٢٠ و ٢٤ و
٣٠ و ٣٢ و ٤٠ و ٤٨ و ٦٠ الخ . ووقف علماء
الهندسة عند هذا الحد الى بداءة القرن التاسع
عشر وحينئذ قام غوس الرياضي وبرهن انه
يمكن رسم كل شكل قياسي في دائرة اذا كان
عدد اضلاعه $2^n + 1$ وكان هذا العدد اصم
ولا يمكن رسم شكل قياسي عدد اضلاعه اصم
اذا لم يكن عدد اضلاعه $2^n + 1$. فلا يمكن
رسم المسبع في الدائرة ولا المتسع ولا ذو
الثلاثة عشر ضلعاً اي لا يمكن قسمة الدائرة
الى سبعة اقسام متساوية بالطرق الهندسية

ولكن يمكن رسم ذي السبعة عشر ضلعاً لان
 $2^4 + 1 = 17$ وهو عدد اصم وكذلك الشكل
القياسي الذي فيه ٢٧٥ ضلعاً
وقد حاول الرياضيون قبل غوس وبعده
قسمة الدائرة الى سبعة اقسام متساوية او رسم
مربع فيها فلم يفلحوا ثم زادت رغبتهم في
ذلك لما اوصى السيورولي الجمعية العلمية
بباريس ان تمنح ريع تركته التي تبلغ ١٢٥
الف فرنك لمن يحل هذه المسألة ولكن لم يوفق
احد الى حلها وبقي المشغولون بالهندسة يحارلون
الى يومنا هذا مع ان العالم غوس اثبت استحالة
ذلك كما تقدم

وقد وردت علينا حلول كثيرة من هذا
القبيل فكنا ننظر فيها من باب الفكاهة فلا
نكاد نقرأ اسطراً قليلة منها حتى نرى محل
الخطأ فيها . ولكن ما لا يمكن عمله بالهندسة
العادية يمكن عمله بطرق اخرى هندسية
كالحركة الانزلاقية التي وصفها الفرد افندي
بولاد في المجلد الخامس عشر من المقتطف
لانها تحل المعادلات التي من الدرجة الثالثة
والرابعة . وقد اعلنت الجمعية الفرنسية منذ
زمن طويل انها ما عادت تنظر في حلول لهذه
المسألة على ما نذكر

(٣) اقدم خط حديدي

فراشه . شيخ العرب ابو هاشم علي قريط .
ما هو اول خط حديدي انشئ في العالم وما
هو تاريخ انشائه

ج . في سكة الحديد امران مستقلان
الاول وضع الخطوط الحديدية على الارض
لتجري المركبات عليها بسهولة ويقل الفك كما
في سكك الحديد والترامواي . والثاني استخدام
الآلة البخارية لجر المركبات بدل الناس
والحيوانات . اما الامر الاول اي وضع
الخطوط الحديدية على الارض لتجري المركبات
عليها بسهولة ويقل الفك فيقال انه اول ما
فعل في هويتافن بيلاد الانكليز وذلك سنة
١٧٣٨ وكان الناس يضعون الواح الخشب
على الطرق قبل ذلك لتقليل فك العجل فوضع
الحديد حينئذ بدلاً منها . الامر الثاني اي
استعمال البخار لجر المركبات ويقال ان اول من
فعل ذلك نقولا جوزف كينو الفرنسي فانه
صنع مركبة بخارية سنة ١٧٦٩ في دار
الصناعة الفرنسية على نفقة كونت ساكس
وكان لها ثلاث عجالات وفيها آلة بخارية تدير
العجل المتقدم . ثم اصلى جسم وط الانكليزي
الآلة البخارية فاستخدمها رتشرد ترفنك في
مركبة بخارية سنة ١٨٠٨ . وسنة ١٨١٣
اخذ وليم هدي امتيازاً بمركبة متقنة تسير
بالبخار وهي اصل كل القاطرات المستعملة الآن
في الدنيا ولم تزل محفوفة في دار الامتيازات

الصناعية بيلاد الانكليز بعد ان عملت عملاً
مستمرًا في جر مركبات الفحم الحجري من
سنة ١٨١٣ الى سنة ١٨٢٢

وكانت الصعوبة الكبرى حينئذ جعل
قوة البخار منتظمة فتمكن جورج ستنفن من
ذلك سنة ١٨١٥ بعد تجارب كثيرة وحسن
في الآلة البخارية تحسينات اخرى ضرورية
وصنع قاطرة استعملت لنقل البضائع والناس
في ٢٧ سبتمبر سنة ١٧٢٥ وكان ثقلها ٩ طنات
وسرعتها ١٦ ميلاً في الساعة . ثم انشئ الخط
بين لفربول ومنشستر وعينت الشركة التي
انشأته ٥٠٠ جنيه جائزة لاجل حسن قاطرة
تجري عليه فنالت قاطرة اخرى لستنفن
هذه الجائزة لانها جرت مركبة فيها ٣٠
شخصاً بسرعة ٣٠ ميلاً في الساعة وكان ذلك
في اكتوبر سنة ١٨٢٩ . ومن ثم الى الآن
قد نمت القاطرات كما تنمو الشجرة الكبيرة من
النبتة الصغيرة ولكن الاجزاء الجوهرية لم
تتغير تغيراً جوهرياً

(٢) السلطان مراد

مصر . مترجم . ما هو اسم السلطان
Amurath بالعربية فقد فتشت كثيراً في
القواميس وما عثرت على ترجمته
ج . مراد

(٤) مرض المورفيا

كيشادا . (البرازيل) الخواجه ناصر
لولو . ارجو الافادة عن مرض بسمونه هنا

Morphea ماذا يسمى بالعربية وكيف يتأتى
في الانسان وهل له دواء لان الاطباء عندنا
يقولون ان ليس له دواء

ج . لا اسم له في العربية ولعل اطباء
العرب كانوا يسمونه الورم الصلب كما يظهر
من وصف ابن سينا لهذا المرض . وهو حوّل
فبريني في الجلد مع بعض التصلب وقد يصيب
الوجه فيؤدي الى تشوه السحنة ويصيب في
الغالب اصحاب فقر الدم وكثيراً ما يصيب
الجدع والاطراف فيعيق حركاتها . والعلة
مستعصية ولا بد في علاجها من الصبر
الطويل والمواظبة على الوسائط الشفائية فيجنب
كل نوع من المهيجات ويعتنى بنظافة الجلد
عموماً . ويعتمد من الداخل على الحديد والكينا
والزرنج وزيت السمك والانداز فيها بالشفاء
غالباً) انتهى باختصار من باثولوجية الدكتور
فان ديك (

(٥) اسم مصر

ومنه . لماذا يسمى القطر المصري مصر
بالعربية و Egypte بالفرنسية والانكليزية
ج . الاسمان قديمان وقد كان اسم مصر
بلغة اهلها خم اي الارض السوداء واسمها
بالعبرانية مصرايم مثنى مصر اي المصران يراد
بهما مصر السفلى ومصر العليا اي الوجه
البحري والوجه القبلي ويرجح ان معنى مصر
بالعبرانية الحصن او الارض الحصينة . والاسم
اجبتوس يوناني وقد ورد كذلك في هوميروس

اسماً للنيل بالذكر ولمصر بالموث ولا يعلم
اصله تماماً فقد ظن الدكتور برغش انه من
ها كه فتاح وهو اسم منف الديني وظن غيره
انه من اسم اجيبوس اي النسر . والظاهر
ان الكلمة العربية هي نفس الكلمة العبرانية
بعد ان افردتها الاشوريون

(٢) ابن قلاقس

فاقوس . محمد افندي علي كامل الوالي .
لمن هذا البيت الذي صدره عقدوا الشعور
معاهد التيجان وما هو عجزه
ج . لابن قلاقس الاسكندري وعجزه
ونقلوا بصوارم العرفان

وديوانه مطبوع بمطبعة الجوائب . وقد ذكر
ابن خلكان ترجمته وشيئاً من اشعاره

(٧) اولاد السورين باميركا

ببروك باميركا . الخواجه ابراهيم عنبر .
ان السورين القاطنين في اميركا لا يعيش لهم
اولاد مثل سائر المهاجرين فما سبب ذلك .

ج . لاندري كيف تحققت ذلك فان
تحقيقه صعب واذا ثبت فهو مما يجب الاهتمام
به ونخاف ان يكون سببه من الابداء اذا كان
صحيحاً اي انهم لا يعيشون عيشه العنة قبل
تزوجهم فيصابون بمرض يضعف النسل او
يتأخرون في التزوج الى ان يكتهلوا ويضعفوا
وعسى ان لا يكون الامر كما تظنون

(٨) مدرسة الهندسة المائية

مصر . فهم افندي عبد الملك . هل

الأصلح لحامل شهادة الدراسة الثانوية المصرية من القسم العلمي ويريد اتمام دروسه في مدرسة المهندسخانة ان يسافر الى انكلترا او يتبها في القطر المصري وبعد الحصول على الدبلوما يضي سنة او اكثر في انكلترا وما هو مقدار مصاريف السنة الواحدة وما احسن كليات انكلترا لهذا الفن مع العلم بأن المطلوب هو تعلم هندسة الري

ج . ان ذلك يتوقف على مقدار النفقة التي يستطيعها الطالب فان النفقة لمن يتعلم في مدارس انكلترا لا تنقل عن مئتي جنيه في السنة وقد تبلغ ٣٠٠ جنيه فاذا استطاع الطالب ان ينفق هذا المبلغ سنوياً وكان عارفاً باللغة الانكليزية معرفة كافية فستقبل من يدرس في انكلترا مضمون اكثر من مستقبل من يدرس في مصر على ما يظهر واشهر المدارس لتعليم الهندسة المائية مدرسة كوبرس هل King's College وكنجس كلدج Cooper's Hill (٩) المصطلحات الهندسية

ومنه اذكروا لنا اسم كتاب حساب لاهم المصطلحات الهندسية

ج . نرى ان مذكرة الجيب الهندسية تأليف ابراهيم افندي زكي المهندس حاوية كل شيء من هذا القبيل وهي مطبوعة في المطبعة الاميرية سنة ١٩٠٢

(١٠) فائدة الزحقة

ومنه انشئ في جبهة الجزيرة محل للزحقة

Skating فهل لعبه مفيد

ج . فيه فائدة من حيث التسلية وتدريب الجزء من الدماغ الذي يحكم حركات توازن الجسم وهاتان الفائدةان لا يستخف بهما

(١١) كتب روسو وفولتر

مونثيريا بكندا . الخواجه جرجس حنا جرجور . ماهي الكتب المترجمة الى العربية من مؤلفات حان جاك روسو وفولتر واين تباع ج . لا نعلم انه ترجم منها شيء الى العربية غير تاريخ كارلس الثاني عشر لفولتر الذي ترجمه رفاعة بك وطبع في بولاق سنة ١٢٥٧ باسم مطالع شمس السير في وقائع كارلوس الثاني عشر

(١٢) كتاب عيون الانبياء

نوفوهرزنتي بالبرازيل الخواجه خليل اسطفان . اين طبع كتاب عيون الانبياء في طبقات الاطباء واين يباع ج . طبع هذا الكتاب في المانيا اولاً ثم طبع في القاهرة فيباع فيهما ويطلب من كل باعة الكتب

(١٣) طول الميل البحري

ومنه كم متراً في الميل البحري ج . ٦٠٨٠ قدماً انكليزية او نحو ١٨٥٠ متراً

(١٤) الولد السباعي

ومنه يقال ان الطفل قد يولد بعد الحمل

ان تفيدوني ما هي هذه النقود وعلى عهد اية دولة في الاسلام كانت متداولة

ج . نرجح ان الكتابة على دائر الوجه الواحد هي « محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » . وعلى دائر الوجه الآخر « بسم الله ضرب هذا الدين في سنة » فاذا قرأتم السنة عرف منها اسم الخليفة الذي ضرب في عهده ونرجح انه من زمن الخلفاء الامويين ومن المحتمل انه من زمن الخليفة عبد الملك بن مروان وهو اول من ضرب السكة في الاسلام . وانه ضرب بين سنة ٧٢ و ٨٦ ولو ارسلتم لنا صورته بالخير او بالشمع او بالفرك بقلم الرصاص لسهل علينا قراءة ما هو مكتوب عليه

(١٨) ام المسائل

بغداد ما هي ام المسائل العصرية التي لم يتفق العلماء عليها حتى الآن

ج . يظهر لنا ان ام المسائل مسألة الخلود اي ان الجزء العاقل من الانسان يبقى خالداً بعد الموت ويبقى فيه ادراكه فتكون نفس الانسان متصلة من حين تكونه الى ما لانهاية له . ثم ان كانت متصلة في المستقبل فهل كانت متصلة في الماضي وكيف ذلك ونحن لا نعلم اننا كنا موجودين قبل ولادتنا

(١٩) مستقبل الصين

ومنه ما رأيكم في مستقبل الصين هل

بسبعة اشهر ويعيش ويقولون هذا الولد سباعي اي حبل به سبعة اشهر فقط فهل ذلك صحيح
ج . قد يعيش الطفل اذا ولد في الشهر السابع واعتني به تمام الاعتناء

(١٥) الوحام والاجنة

ومنه اصحح ما يقال من ان الحامل اذا لم تحصل على ما تشتهي اضر ذلك بجنينها

ج . ان حدث ضرر من ذلك فيكون من ان الحرمان يغيظها فيؤثر فيها تأثيراً عقلياً مضرراً وكل ما يؤثر في الحامل قد يصل تأثيره الى جنينها

(١٦) رياضة الحامل

ومنه ما افضل رياضة للحامل

ج . المشي على شرط ان لا تعب منه ولا بد في ان يكون في مكان نقي الهواء . ويحسن بها ان لا تنقطع عن اعمالها البيئية كلها ولا عما اعتادته من الاعمال والرياضة الا في اواخر مدة الحمل

(١٧) نقود الامويين

حصن الاكراد . الخواجا اسكندر جبور
عثر في قرية قرب علي من قضاء حصن الاكراد على قطعة نقود ذهبية قديمة مكتوب على جانبها باحرف كوفية « لا اله الا الله وحده لا شريك له » وعلى جانبها الاخر « الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد » اما الكتابة على حافظتها فلم اتمكن من قراءتها فارجو

يحمل ان يقتدي الصينيون باليابانيين
ويصيروا مثلهم

ج. نعم ذلك محتمل ولكنه غير مرجح
ما دامت الصين محرومة من ملك مثل امبراطور
اليابان يلتف رجاله حوله ويكرمه اكراماً
يقرب من العبادة وهو متفان في ترقية بلاده
ومدرك اسباب الترقية الحقيقية

(٢٠) ابطال الحرب

ومنه ان الدول تتقارب بعضها من
بعض بالمعاهدات السلمية والتجارية فهل ممكن
انهم يتفقون كلهم سوية ويبتلون الحرب

ج. يسعى كثيرون في هذا السبيل الآن
ومنهم كارنجي الغني الاميركي المشهور وهو
ساع الآن في عقد مؤتمر ببلاد الانكليز لمنع
الحروب البحرية كما هي ممنوعة بين كندا
واميركا في البحيرات الفاصلة بينهما. ولكن ما
دامت المعامل التي تبني البوارج وتسبك
المدافع وتصنع البنادق موجودة واصحابها
يكسبون من هذه المصنوعات وما دام
المكسبون من الحروب والاستعداد لها كثاراً
وهم ذوو حول وطول فاذا لم توجد اسبابها
اوجدوها هم. ومن المحتمل ان تبطل الحروب
الفعلية بين دول اوربا ولكن الاستعداد لها
يبقى على ساق وقدم ونفقاته كثيرة كنفقاتها
ولا يبطل الا بعد ازمان طويلة او يحدث
انقلاب عظيم في المسكونة

(٢١) ارتقاء الانسان

ومنه هل ارتقاء الانسان في قوى
عقله عمومي وتابع للنشوء والارتقاء او هو
خاص ببعض الافراد من الفلاسفة كما حدث
في زمن اليونان واذا كان عمومياً فباي نسبة
حدث جيلاً بعد جيل

ج. لما كان الانسان متروكاً للنشوء
الطبيعي كان ضعافاً يموتون او يقتلون قبل
ان يخلفوا نسلًا فكانت سنة الطبيعة جارية
فيهم وهي بقاء الاصلح او الانسب جسداً
وعقلاً او جسداً فقط او عقلاً فقط ولذلك
نبغ منهم كثيرون من كبار العقول وكان
جمهورهم في درجة معتدلة من القوة الجسدية
والعقلية ولكن لما كثر الاعناء بالضعاف
والسقاء فعاشوا وامتزج نسلهم بنسل الاقوياء
ضعف الانتخاب الطبيعي ولم يظهر الارتقاء
في جمهور الناس كما ظهر في علومهم وفنونهم
وصنائعهم لان ارتقاء العلوم والفنون والصناعات
خاضع لارادة الانسان واما ارتقاء النسل فلم
يعد طبيعياً كما كان قبلاً مبنياً على الانتخاب
الطبيعي والجنسي ولا صار صناعياً كتأصيل
المواشي. فالعالم الكبير قلما يتزوج ويخلف نسلًا
وقد يتزوج امرأة ليست من كبار العقول فلا
يورث مزاياه لاولاده. ولولا كثرة المعارف
وشيوعها بانتشار الكتب والجرائد والتعليم
العمومي لصارت قوى العقل اضعف مما
كانت قبلاً

(٢٢) مرض الحصاة

النيا . ابو الليل افندي راشد . لي غلام
يبلغ من العمر ست سنوات ومن مدة سنتين
أصيب بمرض الحصاة وبعد عرضه على كثيرين
من الاطباء اقرؤا بضرورة عمل عملية جراحية
له فاجريت العملية واستخرجوا حصاة وزنها
ثلاثة دراهم ومن ذلك الوقت الى الآن
وصحة ولدي متأخرة وحالة نمو جسمه لم تنغير
اي لا يزال نحيفاً مع انه قبل مرضه بالحصاة
كان بعكس ذلك واره دائماً يقطر منه البول
بدون ارادته وكأني به يتذكر مرضه الاصلي
فيرتعش فهل من دواء يشفيه ويعيد صحته
الاصلية اليه

ج . يظهر ان العملية اصابت العضلة
المعروفة بعاصرة مجرى البول . ولا بد من
فحص البول والمثانة وعرض الولد على طبيب
خبير فيعالجه العلاج المناسب لشفائه

(٢٣) ضعف النظر

الاسكندرية . جميل . ولدت
ضعيف النظر ولي اخت مثلي من هذا القبيل
مع ان والدينا صحيحا الجسم والنظر ونظرهما
جيد جداً حتى الآن وكذلك نظر سائر
اخوتي وقد رأني مشاهير اطباء العيون فقالوا
ان عيني سليمتان ولكن لا بد لي من استعمال
النظارات (العوينات) واعطوني نمرة ٥

مكبرة ويندر من يستعملها غير الشيوخ . فما
هو سبب ولادتي هكذا أو ليس من سبيل
لأرى مثل سائر الناس

ج . يظهر انكم ولدت وقطر عينيكم من الامام
الى الورا اقصراً مما يكون عادة وكذلك تحدّب
البالورية قليل فتقع صورة الشيخ خلف الشبكية
فتحتاجون الى زجاجة كثيرة التحدّب تصلح هذا
الخلل الطبيعي . اما حدوث الخلل او الخروج
عن المألوف فلا يعرف سببه تماماً ولكنه مثل
غيره من الشواذ ككبر الانف وصغر الاذن
واتساع الفم وما اشبه يحدث في الجنين
لاسباب طبيعية او وراثية . ولا بد لكم من
استعمال النظارات

(٢٤) نعلم الانكليزية

كفر المبروك . عبد الحلي افندي سليم .
هل يوجد كتاب انكليزي وعربي نستطيع ان
نتعلم منه اللغة الانكليزية بغير معلم وما اسمه
ج . اذا اردتم بتعلم اللغة الانكليزية ان
تصبروا قادرين على فهم كتبها فقط سواء
عرفتم لفظها او لم تعرفوا ولم تقصداوا التكلم بها
فكل كتاب مترجم بالعربية والانكليزية
كالنوراة والانجيل والقرآن في هذا الغرض
ولكنهم نعلمونها كما تعلم علماء الآثار اللغة
الاشورية واللغة المصرية القديمة . واذا اردتم
ان تعلموا كيف تلفظونها وتكلمونها فلا كتاب
يفني عن المعلم وعن مشافهة الذين يتكلمون اللغة

بالاحياء العلمية

تذكار دارون

مرّة مئة عام على ولادة دارون وخمسون عاماً على نشره كتابه الاول المعنون باصل الانواع وقد احتفل العلماء بذلك في مدرسة كمبردج الجامعة احتفالاً عظيماً جداً حضره جمهور كبير منهم من كل اقطار المسكونة . ابتدأ الاحتفال في ٢٢ يونيو باستقبال لورد ريلي للحتفلين وقدمت في اليوم الثاني الخطب من نواب المدارس الجامعة والمدارس الكلية وسائر دور العلم والاندية والجامع العلمية . ثم زار الحضور مدارس كمبردج المختلفة التي تتألف منها جامعتها وأولت لهم الولايم ووزعت رتبة دكتور في العلوم على الذين امتازوا منهم بخدمة العلم مثل البرنس رولان بونابرت وهو من اعضاء الاكاديمية الفرنسية والاستاذ ادورد فان بندن استاذ علم الحيوان في ليچ والاستاذ جهيمارت هوفرات بتشلي استاذ علم الحيوان والبيئنتولوجيا في هيدلبرج والاستاذ روبرشودا استاذ علم النبات في جنيف والاستاذ كارل غوبل استاذ علم النبات في مونيخ والاستاذ هيغو دو فريس استاذ علم النبات في امستردام . وغيرهم من مشاهير العلماء . وعرض

كل ما يتعلق بدارون واسلافه وكل صورته من حين كان عمره اربع سنوات الى حين وفاته وعرضت كتبه كلها والتحجرات والامثلة العلمية التي جمعها

وقد كان عدد النواب الذين حضروا كثيراً جداً فحضر عن مدارس الولايات المتحدة وجمعياتها العلمية ٢٨ من كبار العلماء وعن مدارس المانيا وجمعياتها العلمية ٢٩ وعن مدارس فرنسا وجمعياتها العلمية ١٥ وقس على ذلك سائر البلدان . وقد ناب المستر كيننج عن مدرسة قصر العيني الطبية في مصر

فعلى بال من كان يخطر منذ اربعين سنة ان يحتفل الناس بدارون هذا الاحتفال بعد ان قام جمهورهم عليه واتهموه بالكفر واشركوا معه كل القائلين بقوله حتى المدارس الكبرى طردت الاساتذة الذين مالوا الى تصديق اقواله . لاشبهة ان الحق يعلو ولا يعلى عليه وان الغلبة له اخيراً

اقدم بقايا الانسان

ان عظام الانسان التي كشفت وعرفت مواقعها وجدت في احدث الطبقات من الدور الثلاثي من الادوار الجيولوجية ولكن وجد

الشهير وهب مليوني جنيه سنة ١٩٠٥ لينج
ريعا معايشات لاساتذة المدارس الجامعة
والكلية في الولايات المتحدة وكندا ولكنه
اخرج المدارس الاميرية في البلاد الاميركية
ثم زاد هبته هذه مليون جنيه اخرى في
العام الماضي لكي يشترك اساتذة مدارس
الحكومة مع غيرهم من الاساتذة في الانتفاع
بالهبة . ويظهر من تقرير اللجنة التي فوض
اليها اتفاق ريع هذه الهبة ان الاستاذ الذي
راتبه في المدرسة ١٢٠٠ ريال او اقل يعطى
معاشا ١٠٠٠ ريال في السنة . والذي راتبه
اكثر من ١٢٠٠ ريال يعطى الف ريال
وخمسين ريالاً عن كل مئة ريال فوق الالف
والمئتين . ولكن لا يزيد المعاش على ٢٤٠٠
ريال في السنة . وقد اعطي المعاش حتى الآن
الى ١٨٢ استاذاً ومتوسط معاش كل منهم
نحو ١٥٠٠ ريال في السنة واذا مات الاستاذ
اعطي نصف معاشه لارملته

هبة مثل هذه تريح بال العلماء وتجعلهم
ينقطعون لخدمة العلم من غير ان يهشمو بطلب
المال لانهم يعلمون انه يعنى بهم الى حين
مما تهم ويعنى بعياهم من بعدهم

مذنب جديد

ورد تلغراف من مرصد كيل انه
اكتشف فيه مذنب جديد من القدر الحادي
عشر وذلك في ١٥ يونيو الماضي . وكان حين

على مقربة من هيدلبرج بالمانيا في اواخر سنة
١٩٠٧ عظام فكي انسان فوقها ٢٤ متراً من
طبقات الارض . ويظهر من بقايا الحيوانات
في الطبقة التي وجد فيها هذان الفك انهما
قديمة جداً كما نقدهم وقد تكون اقدم من
اوائل احدث الطبقات من الدور الثلاثي فقد
وجدت فيها آثار الكركدن وآثار الفيل القديم .
والاسنان في الفكين طبيعية ولا شبهه في انها
اسنان انسان ولكن ليس في الفك الاسفل بروز
للذقن وهو غليظ غلظاً غير عادي والحيان عريضان
جداً والنحو الاكليلي واطى جداً والعظم الذي
تحت الذقن كبير غليظ حتى يظهر به الفك
الاسفل كحرف الراء العربية . وعرض الجزء
الصاعد من كل لحي من اللجين ستة سنتيمترات
فذلك وامور اخرى في هذه العظام تدل على
ان صاحبها اوطأ في سلم البشرية من اهالي
استراليا الحاليين

وقد كشف هيكل انسان آخر في كهف
له موسيه تحت طبقات كثيرة من الارض
يقدر لوسوبها اربع مئة الف سنة . والظاهر
انه عظام شاب في نحو الثامنة عشرة من عمره
فكاه يشبهان فكي القرد واسنانه كبيرة
متينة ومفرزة انه في وجهه عميق جداً يدل
على انه كان شديد الفطس

هبة علمية كبيرة النفع

ذكرنا غير مرة ان المستر كارنجي الغني

اصل الاقمار

قال الاستاذ سي الفلكي انه اثبت بالادلة القاطعة ان اقمار السيارات لم تنفصل عنها انفصلاً بل ان السيارات جذبتها اليها من الفضاء فدارت حولها وسنأتي على تفصيل بحثه في فرصة اخرى

مطر الهند

جاء في تقرير مرصد بمباي ببلاد الهند ان مقدار المطر الذي وقع فيها في العام الماضي بلغ ٥٣ عقدة و ٥٤ في المئة من العقدة اي انه اقل من متوسط الاربع والعشرين سنة من ١٨٧٣ — ١٨٩٦ بنحو ٢١ عقدة وستة اعشار العقدة

سبب خضرة النبات

اتضح للعلماء منذ زمن ان النباتات البحرية تتلون بالالوان المتممة للنور الذي يقع عليها واثبتوا ذلك بالامتحان وقد ابان الان الاستاذ ستمل ان ذلك يجري في النباتات البرية ايضاً فانها يقع عليها النور الاحمر نور الفجر والشفق فيجعل لونها اخضر ويقع عليها النور المزرقي من الانعكاس عن السماء فيضرب لونها الى الصفرة لان الاخضر ممتص الاحمر والاصفر ممتص الازرق . اي ان حويصلات النبات تمتص النور الذي يقع عليها فتظهر بلون النور المتمم له . والظاهر ان هذه الحويصلات لا تمتص النور الساطع

اكتشافه في كوكبة المثلث سائراً نحو المرأة المسلسلة و فرساوس . ومن الغريب ان المذنب الذي اكتشف سنة ١٩٠٧ كان اكتشافه في ١٤ يونيو ثم قرب حتى صار يرى بالعين وقد يحذو مذنب هذا العام حذوه

الفحم في القطب الجنوبي

من اهم المكتشفات التي اكتشفت في جهات القطب الجنوبي حديثاً طبقات من الفحم الحجري سمكها كلها ١٥٠٠ قدم على الاقل وهي حيث العرض ٨٥ درجة اي على ٥ درجات فقط من القطب الجنوبي وبعض هذه الطبقات رقيق لا يزيد سمكه على قدم واحدة وبعضها سميك يبلغ سمكه سبع اقدام ووجدت آثار الجذور في الطين الذي وجد مع الفحم الحجري . وذلك دليل قاطع على ان تلك الاصقاع كانت حارة وكانت الاشجار تقطعها عصوراً متطاولة

مرض النوم

يظهر من بحث جمعية الطب الاستوائي انه مات بمرض النوم في اوغندا وحدها خمس مئة الف نفس . ولما عُرِف كيف ينتشر هذا المرض قل فتكه فصار الآن عشر ما كان قبلاً . وقد انفق في لغربول وحدها على ارسال البعثات العلمية الى افريقية لهذه الغاية مئة الف جنيه

الواقع عليها من الشمس مباشرة ١٠. إلا أن المسألة
كثيرة التعقيد ولا يزال البحث دائراً فيها
بزيادة ١٦٨٣١٤ عما كانوا سنة ١٩٠٧ سنة
الاحصاء الاخير. وقد كانت الزيادة السنوية
نحو ١٦٦ الفاً سنة ١٩٠٧

الكيمياء والاجنة

ظهر بالامتحان ان المواد الكيماوية تؤثر
في اجنة بعض الحيوانات فتغير اعضاءها فاذا
اذيبت املاح المغنسيوم في ماء البحر فالاسماك
التي نتولد فيه حينئذ يكون كثير منها بعين
واحدة ويتغير فيها فيبرز كثيراً

جائزة ازورس

وهب انستو فرنسا جائزة ازورس ومقدارها
اربعة آلاف جنيه للمسيو لويس بلريو والمسيو
غبريل فوازن لاجل ما فعلاه في ما يتعلق
بركوب الهواء وهذه الجائزة تعطى كل ثلاث
سنوات للذي فعل في تلك المدة اعظم فعل
ياول الى ارتقاء الانسان

سكان القطر المصري

حُسب عدد سكان القطر المصري سنة
١٨٠٠ في عهد الحملة الفرنسية ٢٤٦٠٢٠
نفس وحُسب سنة ١٨٢١ من قوائم الضرائب
٢٥٣٦٤٠٠ نفس وسنة ١٨٤٦ من احصاء
البيوت ٤٤٧٦٤٤٠ نفساً وأُحصي عددهم سنة
١٨٨٢ فكان ٦٨٣١١٣١ وسنة ١٨٩٧ فكان
١١٢٨٧٣٥٩ وسنة ١٩٠٧ فكان ١١٢٨٧٣٥٩
وقد قدر عددهم في العام ١١٤٥٥٦٧٣ اي

سرايات اسمعيل باشا

بلغ ما انفق اسمعيل باشا على سراي الجزيرة
١٣٩٣٣٩٤ جنينهاً وعلى سراي الجزيرة
٨٩٨٦٩١ جنينهاً وعلى سراي عابدين
٦٦٥٥٧٠ وعلى سراي الاسماعيلية ٢٠١٢٨٦
وعلى سائر السرايات التي بناها ٢٣٣١٦٧٩
جنينهاً والجملة نحو خمسة ملايين ونصف من
الجنيهات وبلغ ما انفق على ردم حديقة الجزيرة
وحدها ٢٧٠٠٠٠ جنيه ومع ذلك باعت
الحكومة تلك السراي واكثر حديقتها بثمن
بخس لا يبلغ ما انفق على ردم الحديقة

مواشي ايطاليا

احصيت المواشي التي في ايطاليا في العام
الماضي فوجدت كما يأتي

٩٥٥٠٥١	الخيول
٣٨٨٣٦١	البغال
٨٤٨٩٨٨	الحمر
٦١٩٠٩٩٠	البقر
٠٠١٩٣٦٢	الجواميس
١١١٦٠٤٢٠	الغنم
٠٢٧١٤٥١٣	المعزى
٢٥٠٣٧٣٣	الخنازير

ماسة هوب الزرقاء

انبأنا البرق ان ثماني ماسات بيعت في ٢٤ يونيو الماضي بمبلغ ٤٠٣٢٤ جنيهًا في اوتل دروو بباريس ومن جملتها ماسة هوب الزرقاء . ولم يهتم الناس بهذا الخبر خلفاء امر هذه الحجارة الكريمة ولا سيما ماسة هوب عن الجمهور . ولما كانت اخبار هذه الماسة من اغرب الاخبار تشبه اساطير الاولين وخرافات الاقدمين رأينا ان نلخصها في هذه المقالة فنقول نقلاً عما جاء عنها في جريدة التيمس صاحب تلك الماسات الثماني في باريس محل الخواجا حبيب الجوهري السوري الطائر الصيت في مشارق الارض ومغاربها الذي كان يشتري الجواهر للسلطان عبد الحميد وهو الذي باعها وكان من جملتها عدا ماسة هوب الزرقاء ماسة وردية اللون مشهورة باسم مي ريجان وماسة اخرى اسمها البرنس ماتيلا . اما ماسة هوب فوزنها ٤٤ قيراط وقد ثمنت بخمسة وعشرين الف جنيه ولكن لم يدفع فيها غير ١٦ الف جنيه

ويروى عن هذه الماسة انها كانت من جواهر ملوك فرنسا يوارثونها خلفاً عن سلف ثم اخذت منهم في اغسطس سنة ١٧٩٢ ووضعت في المحل المعروف بمستودع الاثاث فسُرقت من هناك في الشهر التالي من تلك السنة فاذا صحت هذه الرواية ولم يرو ان احداً

كذبها فهذه الماسة كانت في الاصل ماسة جميلة مثلثة الشكل زنتها ٦٧ ١/٤ قيراط ثم قطع بعضها منها وبقيت هذه الماسة بشكلها الحالي وقد اقترنت تاريخ اقتناء هذه الماسة باخبار الشؤم من اوله الى آخره فكل اخبارها قتل وانتحار وجنون وافلاس ومصائب لا توصف . قيل ان اول من اقتناها من الاوربيين رجل اسمه جان بابستت تفرنيه الذي ولد في باريس سنة ١٦٠٥ ومات في موسكو سنة ١٦٨٦ واكتسب اموالاً طائلة من تجارة الماس والف كتاباً في رحلاته الى تركيا وايران والهند فلما رجع من الشرق الى فرنسا باع الملك لويس الرابع عشر ٢٥ ماسة كبيرة ومنها ماسة هوب هذه . لكن ابنه جرّ عليه المصائب فانه هوّره في المضاربة حتى اضطرّ ان يبيع كل مقتنياته ليوفي ديونه وبات فقيراً في الحادية والثمانين من عمره فزيت له النفس العودة الى الشرق فاسافر ولكنه أصيب بالحمى ومات في الطريق فكانت هذه اول مصيبة سطرت في تاريخ هذه الماسة

فطلبت مدام دومونتسبان من لويس الرابع عشر ان يسمح لها بالتخلي بهذه الماسة وكان لا يرد لها طلباً لشدة شغفه بجمعها فما تزيت بها حتى حدثت حادثة ذهبت بجمعها من قلبه وازالت صولتها عن فؤاده فتركها وهام بدمام منتنون بدلاً منها ثم ان نقولا فوكي الذي كان مراقب مالية فرنسا استعار هذه الماسة

من الملك لويس الرابع عشر ليعرضها في وليمة من الولايم الفاخرة والحفلات الباهرة التي كان يولمها وابقاها عنده مدة ففسده الملك على تلك الولايم وغار مما كان يظهر من البذخ والترف فقم عليه وسجنه وعاش ما بقي من عمره ذليلاً حتى توفي بالسكتة سنة ١٦٨٠. وظلت هذه الماسة سنين كثيرة بين جواهر ملوك فرنسا حتى صارت ماري انطوانت ملكة فرنسا وسمعت بحسن هذه الماسة وجمالها فطلبت من الملك لويس السادس عشر ان تحتل بها فعلقتهما على عنقها في حفلة رقص بالثويلروي وكانت صديقتها ومستودع اسرارها البرنس لمبال تستعير الماسة منها وتحتل بها احياناً فكانت آخره الملكة ماري انطوانت انها ماتت بضرب عنقها وآخره صديقتها ان غوغاء باريس ضربتها حتى قتلتها

ثم اختفي خبر هذه الماسة ٤٠ سنة ويقال ان جوهرياً من اهل امستردام طلب منه قطعها فسرقتها ابنه منه. فحرب بيته بسبب ذلك وانتحر ابنه. ويقال ان الابن اعطاها لرجل فرنسوي من مرسيليا فحفظها حتى جاء بها اخيراً الى لندن وهو على آخر رمق من الفقر والمرض وباعها لرجل انكليزي ثم مات في اليوم التالي من شدة الجوع. وباعها الانكليزي لانكليزي آخر اسمه هوب سنة ١٨٣٠ بمبلغ ١٨٠٠٠ جنيه فسميت باسمه وقدرت قيمتها بمبلغ ٣٠٠٠٠ جنيه لجمال شكلها وقمام صفائها

وبديع جوهرها

وكان هوب يعيرها للمعارض الكبيرة ولم يصب بمكروه بسببها وظلت في عائلته حتى ورثها اللورد فرنسيس هوب وتزوج الممثلة يوهي فكدرت صفاء عيشه حتى طلقها سنة ١٩٠٢ وباع الماسة لجوهري من لندن وهذا باعها لجوهري اميركي اسمه فرانكل فلم يستطع ان يجد من يشتريها منه فاشتد به العسر ووقع في مشاكل مالية

وفي السنة الماضية بيعت لسمسار فرنسوي بمبلغ ٣٠٠ الف فرنك على ما قيل وهذا باعها للبرنس كانيثوفسكي الروسي فاعارها للمثلة البارعة الجمال لورن لادو فلبستها وهي تمثل في مسرح فولي برجير ثم اطلق الرصاص عليها من لوجه ليلة لبسها لها فقتلها واثبت ان الماسة له واخذها وبعد ذلك يومين طعنه بعض رجال الثورة فقتله والسمسار الفرنسي اصيب بالجروح ثم انتحر بعد ذلك بايام قليلة. ويقال ان جوهرياً يونانياً اقتنى الماسة بعدئذ فلم يمض الا القليل حتى وقع هو وزوجته وولده عن صخر شاق وقتل

ويروى الآن انه قبلما مات باع الماسة للسلطان عبد الحميد قبل خلع له لانه مغرم بالجواهر كما هو معلوم فاعطاها لابي صابر ليحولها وانتهى الامر بابي صابر ان الفلق وضعت في رجله وضرب ضرباً مبرحاً وزج في السجن ولم يخرج منه الا بعد خلع عبد الحميد

وحارس المحل الذي كانت الماسة موضوعة فيه وجد مخنوقاً امام الباب وكلوب بك الخصي الذي كان موكلاً بها التفت به الغوغاء في شوارع الاستانة بعد الثورة فقضت عليه . وكانت سلى زبيدة التي فتنت عبد الحميد بجملها لابسة تلك الماسة على صدرها حين اشتدت غيرته عليها خوفاً من ان تقع في حوزة غيره فاطلق مسدسه عليها برصاصة اصابت صدرها قرب الماسة قبل ان يدخل رجال تركيا الفتاة قصر يلدز كما شاع وذاع ونشر في حينه هذا ما روي من اخبار الشوم عن هذه الماسة ذكرناها وتركنا العهدة على رواتها اذ ما فيها من غرائب الصدف ونوادير الاتفاق يترك الانسان في ريب من صحة كثير منها والماسة زرقاء اللون مستطيلة قليلاً قطرها الاطول ٢٦ مليمتراً والاقصى ٢٤ مليمتراً وقد ورد ذكرها في المقتطف مراراً

خمر ايطاليا

نقدّر الخمر التي عصرت في ايطاليا في العام الماضي بنحو ٤٧ مليوناً و ٨٦٨ ألف هكتولتر وكانت سنة ١٩٠٧ نحو ٥٦ مليوناً و ٦٢٦ ألف هكتولتر والمتوسط السنوي بين سنة ١٩٠١ و ١٩٠٥ نحو ٣٨ مليون هكتولتر فزادت في العام الماضي عن المتوسط نحو تسعة ملايين هكتولتر ونقصت عن سنة ١٩٠٧ تسعة ملايين هكتولتر

وداع الدكتور اليوت سميث

احتفل الاساتذة الوطنيون في مدرسة قصر العيني الطبية وخر يجرها وتلامذتها بوداع الاستاذ الدكتور اليوت سميث استاذ علم التشريح فيها وذلك في ١٥ يونيو فزينوا مدخل المدرسة وحديقتها بالانوار الكهر بائية ومدوا فيها موائد الطعام الخفيف كالشاي والزبدة والكعك وكانوا قد دعوا الاساتذة الاوربيين ونساءهم وبعض الاصدقاء واصحاب المجالات فانظموا حول الموائد والدكتور اليوت سميث في صدر المائدة الكبرى والى يمينه حضرة الدكتور طلعت بك مندوب سعادة ناظر المعارف . ثم وقف حضرة الدكتور ولسن استاذ علم الفسيولوجيا وافتتح الاحتفال بخطبة وجيزة نيابة عن جناب ناظر المدرسة الدكتور كيتنغ الذي اضطر ان يسافر الى بلاد الانكليز لحضور الاحتفال بعيد دارون وقال ان الدكتور كيتنغ اسف جداً لانه لم يتمكن من الحضور في هذا الاحتفال ولكن المهمة التي ذهب فيها بالنيابة عن المدرسة الطبية وعن القطر المصري علمية كمشاركة حضرات الاساتذة والتلامذة في وداع اساتذهم الفاضل . وتأسف لان سعادة ناظر المعارف وجناب مستشارها لم يتمكنوا من حضور هذا الاحتفال مع انهما كانا يودان ذلك وقد انابا عنهما حضرة الدكتور طلعت

وكأنوا قد كتبوا له كتاب شكر ووداع
بالعربية فوقف حضرة سالم افندي هنداوي
وتلاه بصوت جهوري وهذه صورته
شكر وذكر

الى الاستاذ الدكتور اليوت سميث
ايها الاستاذ العظيم

اقتت فينا زماناً عرفنا فيه غزارة علمك
وعظيم فضلك واريتنا فيه من حذقك ونوعك
في فنك ماعلق قلوبنا وضاعف آمالنا فيك
ولكن ابى الله الا أن يحرم هذه المدرسة من
ذلك العلم الجم الذي كان مورداً عذباً لطلاب
الطب

فالآن يودعك ايها الاستاذ كما ترى
اخوانك وتلاميذك من اهل مصر . يودعك
طائفة من متربيها وقادة افكارها ليثبتوا للعالم
ان هذه الامة لا تبخس احداً حقها ولا تنكر
لاحد جميلاً وانها تشكر للمحسن احسانه
وتقت من المسيء اساءته من غير ان يصرفها
عن الحق عصبية ولا جنسية . يودعك ايها
الاستاذ هؤلاء الذين يريدون ان يعيدوا
بمثالك من الافاضل عهد ابقراط في هذه
الديار حتى لا يذكر اجنبي مصر الا كما تذكرها
صفحات التاريخ الصامته تربة طيبة وجو جميل
وحضارة فائقة وعلم جزيل

اننا نودعك ايها الاستاذ ونودع فيك
علماً خد من الشريعة بما كشف من خبايا
اسراره اجل خدمة حتى اصبح في عالم الطب

بك ولو تمكن سعادة ناظر المعارف من الحضور
لراى ماسره من مظاهر الالفه والونام بين
الاساتذة والتلامذة في هذا المعهد العلمي الشهير
وتلاه حضرة الدكتور محبوب ثابت
فتكلم بالانكليزية والعربية وذكر مزايا
الدكتور اليوت سميث وفواضله وطلب من
الحضور ان يشربوا نخبه . وتناوب الخطباء
بعد ذلك وهم الدكتور ابراهيم فهمي مساعد
الدكتور اليوت سميث والدكتور ماهر من اقدم
تلامذته . واحمد افندي شفيق ومحمد افندي
شافعي وهما من طلبة السنة الرابعة وعبد الحى
افندي . وقد تكلموا كلهم بالانكليزية الا عبد
الحى افندي فانه تكلم بالعربية . وقد اطنبوا
كلهم بذكر ما للدكتور سميث من الايادي
البيضاء عليهم وكيف انه رقى علم التشريح
مباحثه المبكرة وكان مثلاً للتلامذة في علو
الهمة ومحبة العلم كما انه كان مثلاً لهم ولسائر
الاساتذة في الدعة ولين الجانب حتى تعلقت
به قلوب تلامذته وحفظوا له احسن ذكرى
في قلوبهم وفي ادمغتهم ايضاً وان احتفالهم هذا
به انما هو من جملة الادلة على ان ابناى وادي
النيل يقدرون فضل الفضلاء ويقومون بالشكر
الواجب لمن يتفضل عليهم واسفوا جداً لان
الاحوال قضت عليهم بان يتقدوا استاذاً
فاضلاً مثله ولكن اختياره لمدرسة اكبر من
مدرستهم لعلهم الغزير وشهرته الواسعة يجعلهم
يمزجون اسفهم لافراقه بسرورهم بارتقائه

اماماً يهتدى بهديه ويقننى برأيه

فتقبل ايها الاستاذ ذكرى من لا يفتأون
يذكرونك بفضلك وغزير علمك وسر على بركة
الله تعالى في ارتحالك وحلك ولا تضن على
هذا البلد العزيز بما توفى اليه في مستقبل
حياتك العلمية من الاكتشافات النافعة
والآراء الصائبة فان هذه المدرسة تنتظر ان
تستفيد منك في بعدك ما استفادت في قربك
فحقق ظننا بك وآمالنا فيك ودم في ودعة الله
وعنايته . انتهى

وغني عن البيان ان هذا الكتاب من
ادل الادلة على ما يشعر به حضرات المحفلين
من الشكر لجناب المحفل به وعلى ماله من
الايادي البيضاء في خدمة العلم
ولم يكتف المحفلون بالموائد والخطب بل
اهدوا الى جناب المحفل به هدية مصرية
نقيسة قنديلاً كبيراً محلى بالفضة ومنقوشاً نقشاً
بديعاً مثل القناديل الكبيرة التي تعلق في
الجوامع وصينية واثنى عشر ظرفاً وفنجاناً من
فناجين القهوة والصينية والظروف من عمل
القطر المصري وهي منقوشة نقشاً عربياً جميلاً
ثم وقف الدكتور سمث المحفل به وقال
ان هذا الاحتفال الذي لم يكن ينتظره قط
وهذه المظاهرة الشريفة حركت عواطفه
كلها حتى لم يعد يجد كلاماً كافياً للتعبير عما
يجالض فيه من السرور والشكر لاسيما وان
الخطباء تكلموا ببلاغة يعجز هو عن المجيء بمثلها

ولو كانت الانكليزية لغته لا لغتهم . وقال
انه في التسع السنوات التي اقام فيها استاذاً في
تلك المدرسة بذل جهده لكي يرسخ في اذهان
الطلبة مبادئ علم التشريح وما يبني عليها
وكثيراً ما كان يريهم الفروق الطبيعية الراسخة
في بنية الناس والتي لا بد من مجاراتها والا
ضاع جانب كبير من الجهد عبثاً . و اشار الى
اطباء العرب العظام مثل ابن سينا وقال انه
يتوقع ان يرى من خريجي مدرسة الطب
المصرية اطباء يشتهرون شهرتهم بتقويتهم
الملكات الطبيعية التي يمتازون بها . ومما يذكره
بالسرور انه لم يزل يثابته كل مدة اقامته
في هذه المدرسة غير دلائل الحب والولاء
ولكن عدد التلامذة زاد جداً في السنوات
الاخيرة حتى لم يعد قادراً ان يلثفت الى كل
واحد منهم الاثفات الواجب على الاستاذ
لتلامذته فنغص ذلك عيشه لانه رأى نفسه
غير قادر على القيام بما يجب عليه نحوهم فقبل
المنصب الجديد في جامعة منشستر لكي يخلص
من تبكيت الضمير

وكرر الشكر للمحفلين به مثنى وثلاث
ورباع وقال انه سيبقي في فؤاده احسن
تذكار لتلامذته ورضائه ومصر وسكانها
ثم اجتمع المحفلون والمحفل به والمدعوون
وصورهم المصور على نور ساطع يقوم مقام نور
الشمس

حداائق الحيوانات

نشر الكبتن فلور مدير حديقة الحيوانات بالجزيرة رسالة انكليزية عن حداائق الحيوانات في العالم قدر فيها عدد هذه الحدائق اليوم بأكثر من مئة حديقة وقال ان اقدم هذه الحدائق عهداً حديقة فينا انشئت سنة ١٧٥٢ وحديقة مدر يد سنة ١٧٧٤ وحديقة باريس سنة ١٧٩٣ . ثم انشأ الانكليز خمس حداائق من سنة ١٨٢٨ الى سنة ١٨٣٦ ولا يزال اربع منها باقياً الى الآن . ولم يزد عدد حداائق الحيوانات في العالم الى سنة ١٨٥٠ عن ١١ حديقة والبواقي جدت كلها بعد ذلك العهد وذكر في الكلام على تاريخ حداائق الحيوانات في العالم ان المصريين القدماء كانوا يحفظون كثيراً من الوحوش الحية عندهم ولكن الصينيين هم اول من انشأ حديقة للحيوانات كحداائق هذه الايام فقد ورد في تاريخهم ان وونج اول سلطان من سلاطين عائلة تشو انشأ حديقة للحيوانات في عهده وذلك قبل المسيح بأكثر من الف سنة

اعظم مقدار من الراديوم

طلب لورد ايفا والسر ازنت كسل سبعة غرامات ونصف غرام من الراديوم لامتحان افعاله الطبية في نادي الراديوم وسيدفعان ثمنها ثلاثين الف جنيه فيكون ثمن الغرام الواحد اربعة آلاف جنيه

الحمي الصفراء

لما كان ده لسبس يعمل في حفر ترعة بناما مات من العمال ٤٨ الف نفس بالحمي الصفراء اما الآن فكادت تلك الحمي تستأصل تماماً بعد ما عرف سببها وكيفية انتشارها فلم يمت بها احد في الثلاث السنوات الاخيرة حيث ماتت بها تلك الالوف قبلاً

اكل مالك الحزين

مالك الحزين او البلشون طائر معروف يمتاز بطول عنقه وانعقاد منقاره الى الاسفل حتى يضطر ان يقلبه حيناً يريد الاكل . وقد ظهر الآن من مراقبة فراخه ان منقارها لا يكون اعوج في الثلاثة الاسابيع الاولى من عمرها فتلتقط طعامها به مثل سائر الطيور ثم يعوج فصير ثقله حتى تستطيع ان تلتقط طعامها . ويمتاز هذا الطائر على غيره من الطيور ايضاً بان الشق الاعلى من منقاره متحرك والاسفل ثابت على ضد ما هو في سائر الطيور

اصل المسابح

يظهر من البحث في تاريخ المسابح واستعمالها في عد الصلوات ان اصلها هندي اقتبسها البوذيون من الهند ثم المسلمون ونقلها الصليبيون الى اوربالماعادوا من سورية في القرن الثاني عشر فان الكنيسة الرومانية تنسب اول استعمالها الى القديس دومينييك (١١٧٠ — ١٢٢١)

أقدم صناديق الادوية

وجد الدكتور ستين الرحالة صندوق ادوية في صحراء تنهوانغ على حدود الصين مقفلاً ومخنوماً وقد كان لفرقة من الجيش الصيني أخفى هناك منذ النفي سنة ولم يزل على حاله

الغنى المدفون

توفي رجل بالامس في بلاد الانكليز اسمه تشارلس موريسن وترك اثني عشر مليوناً من الجنيهات . ورث مليون جنيه من ابيه واشتغل بالربا والشركات المالية فزادت ثروته رويداً رويداً وهو ملتزم جانب الحذر يكسب الكثير وينفق القليل الى ان بلغت هذا المبلغ العظيم ولا يعلم باسمه الا قليلون من الذين يعاملونه . كان يلبس ثياباً سادجة ولا يركب مركبة الا اذا تعذر عليه المشي ولم ينفق على شيء من الكماليات والزخارف الا على الصور الثمينة . وهو لو اراد لصار من امراء المملكة ولطبق اسمه الخافقين وخطب الملوك وده ولا تثار الحروب وعقد معاهدات السلم ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك لانه رأى السلامة بالبعد عن الناس والراحة بالبعد عن اسباب الظهور والترف

توفير الطعام

كتب بعضهم الآن ان الانسان يستطيع ان يوفر نصف طعامه اذا مضغه جيداً فان

هذا النصف يكفيه وتجد صحته ونقل امراضه ويبقى ذهنه ماضياً وأخلاقه رضية ومن يكثر الطعام ولا يعضه جيداً يسوء هضمه وتعتل صحته وتسوء اخلاقه ويبلد عقله وكل ذلك مؤيد بالامتحان

تمثال لامارك

صنع تمثال للامارك العالم الطبيعي الفرنسي الذي سبق دارون الى القول بتحول الانواع واقام في بستان النبات بباريس في حفلة رأسها الميسو فالير رئيس الجمهورية الفرنسية في ١٣ يونيو

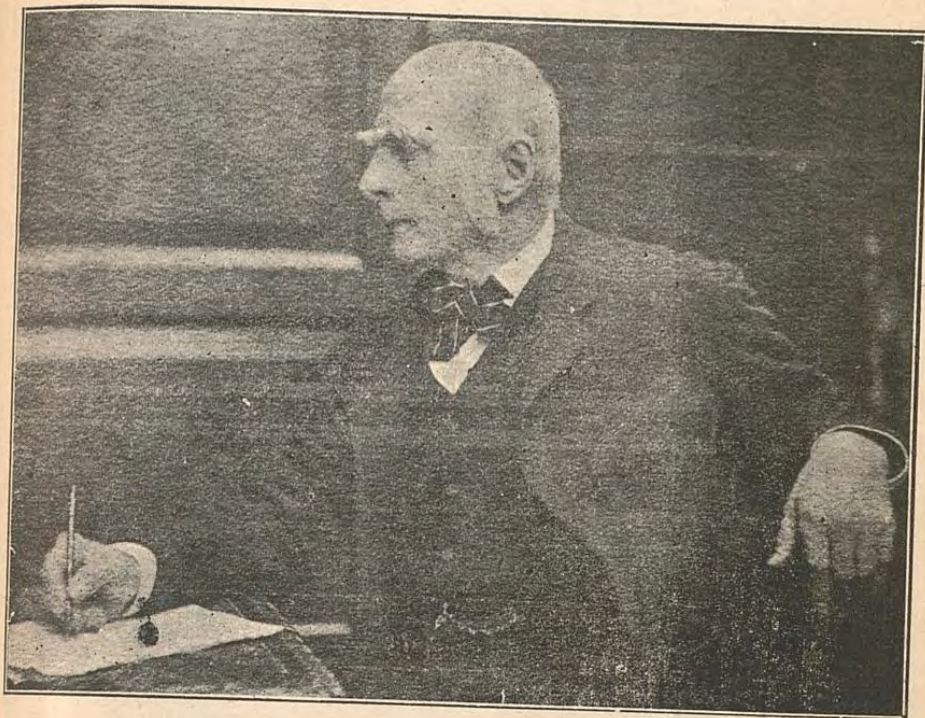
والتمثال من البرنز وهو يمثل لامارك جالساً يفكر وقد كتب تحته لواضع مذهب النشوء . وخطب الميسو بير فذكر الدرجات التي مر عليها مذهب لامارك وتأثيره في دارون وقال ان هذه السنة هي السنة المئة من نشر كتاب لامارك فلسفة علم الحيوان والسنة المئة من ولادة دارون . وتكلم وزير المعارف عن تاريخ لامارك وصداقة بفون له وتأثيره اياه ومقاومة كيثيه له ومخاصمته معه

حرير ايطاليا

بلغ مقدار الحرير الذي حل في ايطاليا في العام الماضي من الشرائق الايطالية ٤ ملايين و ٤٨٦ الف كيلوغرام وكان في العام الذي قبله ٤ ملايين و ٨٢٠ الف كيلوغرام

فهرس الجزء الاول من المجلد الخامس والثلاثين

الشفاء بالاستهواء	٦١٧
توما باين	٦٢٠
اصلاح نسل الانسان	٦٢٢
المذنبات . لمنصور حنا افندي جرداق	٦٢٥
النور والدماع . لجميل افندي صدقي الزهاوي	٦٣١
تاريخ العلوم الرياضية . للاستاذ حسن اندي صديق	٦٣٤
الدماع وافعاله	٦٤٠
الفلسفة المادية ومذهب النشوء . للدكتور شبلي شميل	٦٤٥
جوامد كالنبات	٦٥٠
معجم الحيوان . للدكتور امين المعلوف	٦٥٢
المخلوقات الناقصة الاعضاء (مصورة)	٦٥٥
ارمنية والارمن (مصورة)	٦٥٨
السلطان عبد الحميد	٦٦٥
صادرات الممالك ووارداتها	٦٧٠
الانسانية المتضامنة	٦٧٣
والدقي . لمصطفى انندي صادق الرافي	٦٧٥
<hr/>	
باب التراعة * الاطيان والمزروعات . الاطيان والملاك . الضرائب والسكان . مساحة القطن في القطار المصري . القطن الاميركاني . النيل . التراعة المصرية منذ مئة عام .	٦٧٦
باب تدبير المنزل * وصايا صمية . انعام النروجي وسلطة الفاكهة . حلوى الرز والتمش . الاستحمام . ماري كورلي . كتب التعليم وتعليم البنات . عمل الجلاته ونحوها	٦٨٤
باب المراسلة والمناظرة * قسمه المملكة الثانية	٦٩٠
باب التعريض والانتقاد * خواطر نيازي . المحربة في الاسلام	٦٩٢
باب المسائل * تسبيح الدائرة . اقدم خط حديدي . السلطان مراد . مرض المورفا . اسم مصر . ابن فلاقس . اولاد السوريين بامبركا . مدرسة الهندسة المائية . اصططحات الهندسية . فائقة الزحلقة . كتب روسوفولتر . كتاب عيون الانبياء . طول الميل البحري . الولد السباعي . الوحام والاجنة . رياضة الحامل . نقود الامويين . اهم المسائل . مستقبل الصين . ابطال الحرب . ارتفاع الانسان . مرض الحصاة . ضعف النظر . تعلم الانكليزية .	٧٠٢
باب الاخبار العلمية * وفيو ٢٧ نبذة	٧٠٩



السر فرنسيس غلتن



دارون



ولس